الإسلام والشباب

٣

مع الشباب فى قضاياه

الشيخ منصور الرفاعى عبيد
وكيل وزارة الأوقاف الأسبق
للمساجد وشئون القرآن

الدار الثقافية للنشر

Ma' Elshabab Fe Kadayah
Mansour Obied
14 x 20 cm.132 p.
ISBN: 977- 339 - 049 - 7

عنوان الكتاب : مع الشباب فى قضاياه
اسم المؤلف : منصور الرفاعى عبيد
14 × 20 سم . 132 ص .
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2001/9503
اسم الناشر : **الدار الثقافية للنشر**

الطبعة الأولى
1422 هـ/ 2001 م

الدار الثقافية للنشر - القاهرة
ص.ب 134 بانوراما أكتوبر 11811 - تليفاكس 4172769 - 4035694
Email: nassar@hotmail.com

إهـداء

إلى الشباب ... الذى يكافح للحصول على الحقيقة .

إلى الشباب أمل الأمة فى مستقبلها وأسس النهضة فى رقيها.

نقدم هذا العمل لعلهم يجدون فيه الخير

منصور الرفاعى عبيد

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى . وأشهد أن لا إله إلا الله . الذى أنزل القرآن على عبده وأمره أن يبلغه إلى الناس الذين يجدون فيه ما يوصلهم إلى سعادة الدنيا ورفعة المكانة وسيادة العالم وصدق الله العظيم ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥]

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله جمله الله بمكارم الأخلاق وبسببها أحبه الناس والتفوا من حوله خاصة الشباب الذين وجدوا فيه القدوة الحسنة فرباهم على رمز الطاعة وصرفهم عن ذل المعصية وأخلصوا لله فى سرهم وعلانيتهم فمنحهم الله العلم والسداد . وفتح عليهم البلاد لأنه سبحانه . لما علم منهم إخلاص النية وصدق الطوية ظل سبحانه يأخذ بيدهم من نصر إلى نصر (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وملائكة السماء تتنزل عليهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [فصلت : ٣٠، ٣١] . وبعد

فهذه رسالة عن (القرآن وقضايا الشباب) نقدمها بين يدى هذه السلسلة التى تصدرها هذه الدار المباركة وهو اتجاه محمود وعمل مشكور لأن الشباب هم أمل الأمة ولواؤها المرفوع . . والدرع الواقى . . والسواعد القوية فى الإصلاح والبناء والتعمير . . ولما كان الشباب فى كل أمة هم أملها للمستقبل

السعيد. وذخيرة الوطن للغد المشرق فإن على المفكرين والعلماء أن يمدوا يد الصداقة والحب إلى شبابنا ليقدموا إليهم الغذاء الفكرى الناجح ويأخذوا بيدهم إلى طريق الخير ويضعوا لهم المنهج العلمى السليم .

ولقد بحثت فى مئات الكتب عن تشخيص لعلاج القضايا الشبابية فلم أجد أفضل من كتاب الله تبارك وتعالى لذلك . أقدم هذا البحث وأنا أستلهم من كتاب الله ما يعيننى على هذا الطرح العلمى ليكون بين يدى شبابنا منهاج عمل لغد مشرق بالسعادة والخير العظيم .

أيها الشاب النجيب من حبنا لك وحرصنا على منفعتك فإننا نقدم لك باكورة هذا العمل العظيم القرآن وكيف تجد فيه الإجابة على كل مسألة تتعلق بشئون حياتك والقرآن الكريم هو كتاب الله وكلامه الذى أنزله بواسطة سيدنا جبريل على سيدنا محمد ليبلغه إلينا ومن فضل الله ورحمته أن الله سبحانه وتعالى تولى حفظ القرآن الكريم ولهذا فقد نقل إلينا بالتواتر كما تلقته الأجيال شافهة والقرآن الكريم معجزة النبى محمد ﷺ والمعجزة أمر خارق للعادة ولقد كان العرب أهل فصاحة وبلاغة وبيان لهذا كان القرآن فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة والبيان. وقد تحدى الله العرب أن يأتوا بمثل أقصر آية منه فعجزوا بل إن القرآن قال لهم ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨] . ومع أن القرآن هو المعجزة الدائمة الخالدة . فإن من قرأ فيه كأنما يقرأ فى طوية نفسه ومن استمع إليه كأنما يستمع إلى همس خاطره . وأنت تجد فى القرآن الكريم الاعتراف بالأنبياء جميعاً الذين بعثهم الله هداة للبشرية وهو يسجل الصفحات البيضاء لهم ويضعهم دائما فى موضع التكريم

وكأن القرآن يقول للإنسانية كلها إن الدين الذى يدعو إليه القرآن والذى حمله إليكم محمد ﷺ حقيقته من أول آدم الذى حمل من ربه كلمات طيبات . كذلك نوح إلى قومه وهود إلى عاد وشعيب إلى مدين وصالح إلى ثمود وإبراهيم وداود وسليمان وزكريا ويحيى وموسى وعيسى هؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم الله فى القرآن الكريم حملوا الدين الذى جاء به محمد فى آخرهم لذلك التقت الرسالات كلها عند محمد ﷺ لأنه أنصف الحقيقة كما جاءت على لسان من سبقوه وإذا كانت الرسالات قد التقت عند محمد فلأنه النبى الخاتم فلا نبى بعده ولا رسول وليس هناك كتاب ينزل من السماء بعد القرآن لأن فى رسالة محمد ﷺ التقى الأول والآخر وتآخى السابق واللاحق . وأنصفت الحقيقة التى ظلمها الناس وترقبتها الأجيال بعد ظلم وظلام والتمستها فى أصالتها وكمالها فالتقت هى والإسلام . لقد قالت السماء كلمتها . وأفضت للإنسانية حقيقتها من بدايتها إلى نهايتها . وختمت الرسالات على يد محمد وأجرت على لسانه كل إنصاف وتقدير للذين حملوا هذه الحقيقة من قبله . لهذا كرم محمد ﷺ الأنبياء جميعاً وطلب الإيمان بهم والاعتراف برسالتهم وعد الإيمان بهم أصلاً فى رسالته والتفريق بينهم إنكاراً لدعوته واقرأ معى قول الله ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ من رَّبِّه وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بالله وَمَلائكَته وَكُتُبِه وَرُسُله لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَد مِّن رُّسُله ﴾ [البقرة : ٢٨٥]

إن القرآن الكريم الذى ندعوك لتقرأ فيه ضم الاعتراف بالأنبياء جميعاً كما ذكر لنا خصائص النبوات السابقة . وليس فى وسع بشر أن يحيط بشأن القرآن وما احتواه من أسرار التنزيل . لأن القرآن هو كتاب الكون وهو حافل بالزمن كله . ماضيه وما حوى ومستقبله بما احتوى وحاضره بما يشتمل عليه من

مشاكل متعددة وقضايا متنوعة يقف منها موقف الحكم العدل الذى يسوى بين الخلق ويحكم بينهم ويقضى بالحق ويرفع معالم الهوى ويثير دوافع الرحمة . لهذا فإن القرآن بحر زاخر لا تحد جوانبه ولا تنقضى عجائبه . والقرآن الكريم قد انفرد دون سائر الكتب بهذه الميزة (اليسر والسهولة مع البلاغة والفصاحة) لهذا كان القرآن إعجازاً للبشر . وقد ارتبط حفظ القرآن برب الأرض والسماء . لذلك ترى أن أعداء الإسلام قاموا بغزو أرض المسلمين وكم تسلط المستعمر على المسلمين ونهبوا خيرات البلاد وصدوا عن دين الله ومع كل ذلك بقى القرآن فى حمى الله لم ينقص منه حرف ولم تبدل آية بل ظل القرآن شامخاً مشرقاً لا يغيب نوره وصدق الله العظيم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . إن الرسول ﷺ برسالته الخالدة التى ضمنت لها السماء دوام الخلود وتكفلت لها بالحفظ والبقاء فإن الرسول ﷺ بشخصيته وإعداد السماء له دليل على أن القرآن والدين ومحمد للعالم أجمع لأن محمداً ﷺ اجتمع فى شخصه الكريم صفات الأنبياء جميعاً . لذلك وجه الله الناس جميعاً أن يتخذوه أسوة وقدوة لأنك ترى فى سلوكه مكارم الأخلاق متجسدة ومحامد الشيم واضحة يأوى إليه الضعيف والقوى والخادم والسيد الكل يدعوه فيجد فيه نقاء النفس مع الاتسام بالسماحة والمروءة والتواضع الكل يدعوه فيستجيب له فأنت ترى الخلق العالى والعفة المصونة والحكمة البالغة والشجاعة النادرة . إن الإنسانية الظامئة إلى الأمن والأمان المتطلعة إلى السلام العادل لن تجد أمنها وسلامها إلاّ على مائدة القرآن وبين يدى الرسول الأمين الذى حمل إلينا القرآن . ولكى يتم إيمانك وتنتفع بما فى القرآن فعليك أن تؤمن بالدين . الذى هو الطاعة لله رب العالمين وأن تصدق

بكل ما جاء به النبى محمد ﷺ الدين ثلاثة . الإسلام. الإيمان. الإحسان.
وقد بين ذلك رسول الله ﷺ وأن تؤمن بأن الله موجود. حىَ واحد أحد لا
زوجة له ولا ولد لا ينام ولا يغيب عن علمه شىء متصف بكل كمال يليق
بجلاله منزَه عن كل نقص. وأن تؤمن بالملائكة وأنهم عباد لله مكرمون لا
يتصفون بذكورة ولا أنوثة. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما
يؤمرون. ثم. أن تؤمن بأن الله بعث رسلاً إلى الناس لأن الله من رحمته بهم
بعث الرسل مبشرين للطائعين بالسعادة فى الدنيا والفلاح فى الآخرة . منذرين
للضالين والمنحرفين بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة والأنبياء الذين ذكرهم
الله فى القرآن الكريم. هم . خمس وعشرون نبى . وهؤلاء الأنبياء متصفون
بما يليق بهم من صدق وأمانة وتبليغ وفطانة وأنهم فى حياتهم الدنيا حفظهم
الله من كل شىء ينفر الناس منهم . وهم منزهون عما لا يليق بهم من كذب
وخيانة وكتمان وبلادة. ثم يستتبع ذلك . الإيمان بالكتب التى أنزلها الله على
بعض رسله الكرام كصحف إبراهيم وزابور داوود وتوراة موسى وإنجيل
عيسى وأن هذه الكتب جميعاً ختمت بالقرآن وهو أفضل هذه الكتب لأنه
حوى أصول الكتب السابقة وزاد عليها بما يتلاءم مع حاجات الإنسانية فى
مسارها. ثم. الإيمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة وأول أيام القيامة الموت
والقبر وأن فى القبر سؤال الملائكة للميت وبعد السؤال القبر إما روضة من
رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وبعد ذلك بعث وحشر . وفى أرض المحشر
ميزان لوزن الأعمال ونشر كتب الأعمال وتعليقها فى الأعناق وكل إنسان
يأخذ كتابه إما بيمينه وإما بشماله . ثم . الإيمان بالقدر كله خيره وشره . وأن
كل شىء يصيب الإنسان قدره الله عليه من الأزل لأن الله سبحانه وتعالى

كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء . لهذا يجب الإيمان بالقضاء والقدر مع الاعتقاد بأن الله يغير ولا يتغير ويمحو ما كتب فى اللوح المحفوظ ويثبت لأنه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء وهو الكبير القوى المتعال .

والإسلام . هو الانقياد لله تبارك وتعالى والاستسلام لأمره مع الاعتقاد الباطنى والانقياد الظاهرى بكل ما جاء به النبى ﷺ وعلم من الدين بالضرورة . كالصلاة والزكاة والصوم والحج إلى غير ذلك مما جاء به الإسلام . وجاء نصاً فى القرآن . أو قولاً للنبى محمد ﷺ . أو إقراراً منه لفعل أحد الصحابة .

هناك كذلك السمعيات . وهى أمور لا تعرف إلاَ من طريق النقل من كتاب الله أو سنة رسوله . ولا يقبل إيمان عبد حتى يصدق بها تصديقاً جازماً فالسمعيات مثل . أن تؤمن بوجود الملائكة وأنهم عالم غيبى لا يعلم حقيقتهم إلاَ الله لا يتصفون بذكورة ولا بأنوثة وأن مستقرهم السماء . وينزلون إلى الأرض بأمر الله وهم أنواع منهم حملة العرش والحافون حوله وأمناء الوحى والموكلون بقبض الأرواح والموكلون بالأرزاق والأمطار ومنهم الحفظة للإنسان ومنهم الكتبة الذين يكتبون على الإنسان ما يفعله .

كذلك تؤمن بالجن وهم عالم غيبى لا يراهم الإنسان بعينه لا يعلم حقيقتهم إلاَ الله خلقوا من النار يأكلون ويشربون وينامون ويتناكحون ويتناسلون فيهم المؤمن والكافر والصالح والطالح .

كما يجب أن تؤمن بأن كل شىء فى الوجود له أجل محدود من إنسان وحيوان وجن وملائكة فكل مخلوق له أجل وأن ملك الموت هو الذى يقبض الأرواح بأمر الله وله أعوان من الملائكة .

كما أن الإنسان عندما يموت ويقبر يرد الله عليه روحه وسمعه وبصره ويأتيه ملكان (منكر ونكير) فيسألانه عن دينه وربه ونبيه ثم بعد ذلك ينام الإنسان فى قبره حتى يأتى يوم القيامة يوم يقوم الناس من قبورهم وتسوقهم الملائكة إلى أرض المحشر فتجتمع الإنسانية كلها فى يوم مشهود ثم يحاسبون على أعمالهم أمام الله . ويوم القيامة ذكر بأنه أطول من خمسين ألف سنة وأن الناس فى هذه المدة لا ينامون والحساب أمام الله حساب دقيق والله لا يظلم الناس يومها شيئاً فكل إنسان وما قدَم من عمل . وفى يوم الحشر هناك ميزان كالميزان الذى نعرفه فى الدنيا توزن فيه أعمال العباد .

فإذا فرغ الناس من الحساب فلابد لهم أن يمروا على الصراط المستقيم وهو جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر زحفاً ومنهم من يتساقط فى جهنم .

وفى هذا اليوم الشديد الرهيب هناك حوض للنبى ﷺ وهو الكوثر يرد عليه الظامئون من أمته طول مسيرته مشى شهر مربع الشكل ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل كيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه لا يظمأن فى هذا اليوم الشديد الرهيب يمنح النبى ﷺ الشفاعة فى بعض الناس الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ونحن نعتقد أن نبينا ﷺ شافع مقبول الشفاعة وأنه أول شافع وأول من يجوز على الصراط بأمته فإذا انتهى هذا الموقف فإن الناس ينصرفون بعد ذلك فريق إلى الجنة وهى دار الثواب والنعيم المقيم فيها الخير الذى لا يحصى وفيها الحور العين ولحم طير مما يشتهيه الإنسان والفواكة المتعددة والأنهار الجارية من الماء واللبن والعسل والخمر التى لا تغتال العقول ولباس أهل الجنة الحرير والذهب .

وهناك النار وهى دار العذاب فيها الزقّوم (شجر من أخبث الشجر المرطلعها كرؤوس الحيَات من أكل منها تغلى بطنه كغلى الحميم) وفيها الغسلين (وهو صديد أهل النار) وفى جهنم أيضاً المهل (وهو ماء عكر كدردى الزيت الأسود والنحاس المذاب) وملائكة جهنم معهم مقامع من حديد . . بكل هذا جاءت الأخبار الأكيدة الصحيحة وإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (جيء بالموت فيذبح أمام الأعين) ثم ينادى مناد . يا أهل الجنة بلا موت . ويا أهل النار خلود بلا موت .

واعلم بأن أفضل كلمة يرددها الإنسان (لا إله إلا الله محمد رسول الله) على كل ذلك قامت الأدلة . واعلم أن العلم بهذه الأشياء مطلوب منك لأنها أمور اعتقادية من أنكر شيئاً منها فهو ضعيف الإيمان ويخشى عليه عاقبة الأمر أما إذا أنكرها معتقداً عدم الإيمان بها فهو كافر بالإسلام ثم إن الإسلام يطلب منك الإيمان بالله عن طريق التأمل فى الكون والتفكر فى كل ما يحيط بك . بل فى نفسك أيضاً تفكر وتذكر أنك جئت إلى الدنيا بإرادة الله . وأنك سوف تخرج منها بإرادة الله وأنت فى هذه الحياة مخير . لك إرادة وقد أقام الإسلام لك الدليل بعد النقلى الذى قدمناه العقلى . والإسلام فى أخص عقائده يعتمد على الدليل العقلى والفكر الإنسانى ليصل من وراء كل ذلك إلى أن هذا الكون بما فيه من خلق وإبداع هو . صنع الله الكبير المتعال والإسلام وقد ساق إليك معجزة النبى محمد ﷺ هى معجزة تناقش معك الأمر وتدير الحوار وتسوق لك الدليل وليست معجزة تسكت العقل أو تحجر على التفكير وإنما كانت المعجزة الباقية بيننا كتاب جامع من القول والعلم والتوجيه والإرشاد لا ينقضى عجائبه . وقد نبهنا إلى أن عمل الفكر وطلب العلم (العلم بكل

أنـواعه ومـادته وأفكـاره واتجـاهـاته) والتـأمل فـى الكـون ودراسـة الأشيـاء والاستفادة من كل هذا عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله .

وإذا كان القرآن بهذه المنزلة فتلك آية صدقه ودلالة الحق الناطقة منه مما يؤكد أنه من عند الله . لأن الذى تلقّاه ونقله إلينا أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة . وقد نشأ فى بيئة تتغنى بعصبيتها وتنحصر بفكرها وسلوكها فيما تمليه عليها ضرورة الحياة . لكنه هو كان سمحاً لا يقر العصبية ولا يرضى بها وإنما هو السهل السمح اللين الأمين فى تبليغ الوحى الصادق مع الله والناس لهذا فإن القرآن الكريم منهج حياة ودستور إنسانية لأنه من عند رب عظيم خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم .

والقرآن الكريم قدم نفسه للناس بأنه " الكتاب الذى لا ريب فيه " فهو "كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " وقد بين لنا أن الناس فى المجتمع ينقسمون إلى ثلاثة أصناف :

١ - المؤمنون ولهم سمات وصفات بينها القرآن الكريم .

٢ - الكافرون ولهم سمات وصفات بينها القرآن الكريم .

٣ - المنافقون ولهم سمات وصفات بينها القرآن الكريم .

وأخس هؤلاء الثلاثة هم المنافقون لأن الواحد لا يعرف . هل هم معه أم عليه . فهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

والقرآن عندما تقرؤه تجد له حلاوة وعليه طلاوة . وهو يعلو ولا يعلى عليه . وكما تقرؤه عليك أن تستمع إليه لتجعل لأذنك حظا من جمال المعانى وحسن التعبير كما تجعل للسانك حظاً من تذوق حلاوته .

والإنسانية اليوم وهى تعانى من الصراعات النفسية والاضطرابات

الفكرية . والصدام المسلح هنا وهنا . لن تجد سلامها ولا أمنها إلا إذا عادت
إلى القرآن الكريم . تتخذه منهج حياة . ودستور أمة . وقانون شعب يومها
يعود إليها الاستقرار والوئام والخير والسعادة والأمن والأمان . فإلى القرآن
يا أتباع محمد ﷺ ليعود إليكم ماترجون لانفسكم من خير وهناء .

الفصل الأول

الشباب فى القرآن

إن المجتمع الإنسانى لم يعرف فى مساره الطويل (مشاكل الشباب) . لأن القرآن الكريم وهو كتاب الله الجامع ذكر نماذج من الشباب ليكونوا قدوة للشباب . . فهنا مثلاً . إبراهيم . . ذكر القرآن بأن قومه قالوا (سمعنا فتىً) وإسماعيل اتصف بالصدق مع الوفاء بالوعد والعهد والصبر والامتثال لأمر ربه عندما قال له أبوه (إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) . . كما ذكر لنا عن سليمان الشاب الذى يجلس بجوار أبيه داود وعرضت مشكلة ففهمها سليمان . . كذلك يوسف الذى صان نفسه وحافظ على كيان الأسرة التى يعيش فيها . . بل رضى بالسجن ولم يشأ أن يفضح زوجة الرجل الكريم إلى غير ذلك مما ذكرهم الله (كيحيى وعيسى) وأهل الكهف الذين ربط الله على قلوبهم لقوة إيمانهم ولأنهم لم يستعملوا العنف فى مجتمعهم . . فالقرآن حافل بذكر هذه المجموعة من الشباب ليكونوا لهم قدوة . . وفى السنة النبوية نرى تكريم الرسول ﷺ للشباب والدفع بهم فى مجال العمل الميدانى حيث جعل منهم السفراء مثل (مصعب بن عمير) وقائد جيش مثل (أسامة بن زيد) وقاضٍ يحكم بين الناس مثل (على بن أبى طالب) إلى غير ذلك مما يصعب حصره الأمر الذى جعل الشباب يتفانى فى خدمة الدولة ويحافظ على كيانها الاجتماعى ويحمى حتى ذرات الرمل من أن تطأ عليها أقدام عدو . . وكان أهم ما يميز الشباب . . الإيمان القوى . . والفهم الواسع . . والمشاركة فى

إدارة شئون المجتمع بكل مرافقه وليس هناك من يسفه رأيه أو ينقص من قدره . . أو يلغى عقله . . وإنما كان هناك التوجيه والإرشاد . . والتنبيه من الكبار للشباب .

لكن فى عالمنا المعاصر تصارعت القوى الهدامة والمذاهب المنحرفة على شباب الإسلام وأبناء المسلمين . . فتارة يلوحون لهم بالمال الذى يتلهف عليه الإنسان لأنه يحبه بفطرته ، أو بالجنس ويعملون لذلك مقدمات . . منها الأفلام . . وأشرطة الفيديو ومجلات العرى إلى غير ذلك . . وشبابنا والحمد لله رغم أن العدو صدَّر إلينا مخدرات بكميات رهيبة وأنفق عليها الملايين إلا أنه والحمد لله مازال شباب مصر بخير حيث الأزهر ومعاهده ورجاله وعلمهم . . الأمر الذى جعلنا فى هذه الفترة نقدم هذا الكتيِّب عن القرآن وقضايا الشباب واعتبرنا قضيتهم من أهم القضايا لأن ما ظهر على الساحة يجلعنا نسارع لتقديم الزاد الفكرى والثقافة الدينية إلى شبابنا ونقول لهم إن كل واحد منكم يجد فى القرآن الكريم ما يشبع رغبته وما يجيب على أسئلته . . وكل فرد يجد ما يطلبه من ثقافة وفكر . . وهذا للناس جميعاً على اختلاف مشاربهم وتباين ثقافتهم . . والحق سبحانه وتعالى وهو يخاطبنا فى القرآن . . يخاطبنا على أننا بشر . . فينا غرائز . . تحب المال . . والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة . . كما أننا نحب النساء . . لأن مركب فينا شهوة وبالتالى نحب البنين . . نحب فى دنيانا أن نمتلك كل شىء . . لهذا فإن خطاب القرآن إلينا كبشر نتعايش على أرض الواقع وبهذه التطلعات يقول لنا (ذلك متاع الحياة الدنيا) وهل الدنيا محرمة علينا ؟ يقول القرآن لا . . واقرأ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ

الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢] . فالإسلام يبيح لك أن تتمتع بكل ما فى المجتمع من خير لكن بأسلوب رسمه لك القرآن لأن الله حرم عليك ما يضر بصحتك أو يهز نفسك أو يكون سببا فى انفصام الشخصية أو يصاب الإنسان بالكبت العصبى واضطراب الشخصية لذلك قال لنا ربنا سبحانه ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]

إن الإسلام ومنهجه القرآن يريد لكل شخص السعادة التى تتحقق له عن طريق الصحة وراحة البال . . واطمئنان القلب . . وهدوء السر . . وأن يكون الإنسان آمنا فى حياته يمشى بين الناس موفور الكرامة هادئ النفس واثق الخطى لايخاف من أحد لأنه لم يرتكب خطيئة ولم ينحرف فى حياته ولم يعتد على شرف أحد هذا الإنسان من حقه أن يتمتع بالحلال الطيب الذى بثه الله فى الوجود مع الالتزام بالسلوك الحسن والأدب واحترام الآخرين . . فلا يغش . . ولا يخون . . ولا يغدر لأن هذا هو أسلوب الحيوانات المفترسة . ولما كان الشباب هم أمل الأمة فإن توجيه الله إليهم أن يعيشوا على مائدة القرآن وأن يقرأوا فيه لأن فيه القصة التى تستهويهم والتوجيه السامى الذى يسموا بأرواحهم ويهذب نفوسهم ويرقق مشاعرهم ويؤكد على حسن صلتهم بالكون وكأنه يقول لهم . . خذوا العبرة من هذا واستلهموا الرشد من هذا التوجيه وتأدبوا بأدبه وعيشوا على مائدة القرآن تجدوا راحة البال . وهدوء السر . إن الإنسان الذى كرمه الله وفضله على كثير من خلقه . وقد

يسأل نفسه . لماذا هذا ؟ وتكون الإجابة . . لأنك أنت أيها الإنسان عاقل زوَدك الله بهذا العقل وهو جوهرة ثمينة غالية لا تقدر بمال وخلقك الله فى أحسن صورة وعلَمك البيان . . وتكرَم عليك فبعث إليك الرسل مبشرين ومنذرين وقد بيَنوا لك أسلوب تعاملك مع الآخرين . . وهو أسلوب يقوم على الرحمة والعدل والإحسان والتسامح لأن الإنسان حياته سوف تنتهى وسوف يقدم على ربه ويومها سيحاسب على كل ما فعل . . وقد رسم الله لنا ذلك وحدده فى القرآن الكريم لنكون على بيِّنة بالأمر فقال سبحانه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ والله رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

إن القرآن يخاطب فينا المشاعر الإنسانية ويعمل على تهذيبها ثم نجد أن الحق سبحانه عندما حرَم علينا شيئاً نجد أن فيه المصلحة الحقيقية لأجسامنا فعندما حرَم الخمر مثلاً والمخدرات لأن هذه الأشياء تغتال العقول وتدمر الأجساد وتتلف المال . . وإذا فقد الإنسان عقله كان هو والحيوان سواء لهذا يقول الله فى القرآن ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

هذا إذا ما فقد الإنسان عقله وإذا ما دمر جسده وضاعت صحته فقد أصبح عالة على غيره . . يتخلى عنه القريب ويبتعد عنه الصديق ويحتقره الغريب ولا يأبه به المجتمع والسبب فعل شىء حرَمه علينا الإسلام والله سبحانه وتعالى هو القائل لنا فى القرآن ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء : ٢٩] . وإذا كان الإسلام قد حرَم الخمر مثلاً فقد أباح لنا ما تصنع منه

الخمر كالعنب مثلاً وغير ذلك مما تصنع منه الخمور والحق سبحانه وتعالى وهو يرسم لك طريق السعادة يقول لك ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] .

لقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يترك للإنسان حريته ليفعل بملئ إرادته مايشاء لكنه نبهه إلى أن الإنسان سيحاسب على فعله وإن فلت من حساب الدنيا وتهرب من الناس فإن الله بينَ له أنه لن يفلت من حساب الآخرة لأن العدل لابد أن يقام وإلى هذا أشار الحق سبحانه ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ القَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾ [النساء: ١٠٨] .

إن الإنسان فى الدنيا قد يأتى بشهود يشهدون له وبمحام يدافع عنه لكنه فى يوم القيامة شهودك منك وعليك ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] . بل إن الإنسان يعجب وهو واقف أمام الله للحساب ويسأل يده ورجله وأمعاءه (لم شهدتم علينا ؟) فتجيب هذه الأعضاء ﴿أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١] . هؤلاء هم الشهود أعضاؤك أنت أيها الإنسان والأعضاء لا تقول إلا الحق ولا تنطق إلا بالصدق إذا فمطلوب منك أن تؤهل نفسك لهذا الحساب والذى يدافع عنك هو عملك الذى يكون طبقاً لما أرشد إليه القرآن وبيّنه لك النبى محمد ﷺ لأنه كما قال القرآن ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] .

على هذا الأساس أيها الشاب عليك أن تضع فى اعتبارك . . أنك

شخصية مسئولة . . لا تظن أنك كم مهمل . . لا . . فأنت شخص انطوى فيه العالم الأكبر . . ولهذا كرمك الله ورفع قدرك وأعلا منزلتك وقال لك فى القرآن الكريم مبيناً لك منزلتك ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]

وعلى هذا الأساس فالدين يسر . . وأنت لك حريتك . . لكن الله من رحمته وفضله رسم لك طريق الخير ونبهك إلى ما يحقق لك السعادة ووضح لك الأمور وضرب لك الأمثال مع توضيح أن الدنيا دار ممر . . ما هى إلا كقطار تركبه من محطة وتنزل فى أخرى وهذا تماما كيوم ميلاد الشخص . ويوم انتقاله لكن القرآن وضح لك أسلوب حياتك خلال رحلة القطار وقال لك اعلم أن القطار سوف يتوقف فى محطة وأن كل الركاب سينزلون بارادتهم أو بغير إرادتهم لذلك قال فى ثنايا القرآن ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨] ويقول كذلك ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] .

إن الحق سبحانه وتعالى وهو يسوق إلينا ذلك لا يريد أن ينغص علينا حياتنا ولا يريد منا أن ننطوى على أنفسنا ونعتزل المجتمع وإنما هو بذلك يبين لنا الحقيقة ويترك لنا حرية الاختيار والإنسان الذى يريد لنفسه السعادة والنجاح والفلاح هو الذى يختار أحسن الطرق وأفضل السبل ويرسم لنفسه طريق السعادة الحقة لهذا يقول الله ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا﴾ [يونس: ١٠٨] .

والحق سبحانه وتعالى وهو يقول لنا ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

يأتي القرآن عقب هذه الآية مباشرة وينبهنا إلى الأفضل والأحسن والأجمل لأن هذه الأشياء كلها زائلة لأنها متاع يتمتع به الإنسان لحظة ثم ينتهي فما هو الشئ الدائم والأحسن والأفضل ؟ يقول ربنا ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥-١٧].

إن على الشاب أن يؤمن أن الله سبحانه وتعالى قسم الأرزاق المادية بين الناس . . فمنح هذا الغنى ولم يمنح ذاك فذلك لحكمة يعلمها هو وهو الخلاّق العليم لأنه سبحانه وتعالى بينَ لنا فى القرأن الكريم أنه فضل بعض الناس على بعض فى الرزق فقال سبحانه ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥] . فهناك رئيس دولة وهناك وزراء وهناك أطباء وهناك موظفون . . فطوائف المجتمع على اختلاف مناصبهم وتفاوت أعمالهم يرفع الله كل شخص بحسب ما وهبه وما منحه لينظر الله إليه . . هل أجاد فى عمله وأتقن فى صنعته وابتكر فى أسلوب الأداء ونهض كل شخص بالمسئولية الملقاة عليه . . حتى العامل الذى ينظف الشارع حتى الخباز حتى ماسح الأحذية كل شخص فى أى عمل فى أى موقع كل واحد يجتهد ويتقن ويؤدى عمله بأمانة وصدق فهو مرفوع الدرجات على غيره . . لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق جميعا وسوَى بينهم فى العظم وأعضاء البدن على نسق واحد . . إلا ما ندر . . كل هؤلاء جميعا استخلفهم الله فى الأرض وهو سبحانه ينظر إليهم ليرى كيف يعملون . . فالسائق الذى يقود السيارة وينطلق بها ويكسر إشارة المرور ولا يراه المسؤول فالله يراه وسوف يحاسبه على تقلقه وعدم انضباطه . . والغواص فى أعماق البحار الله يراه ومطّلع عليه فإن خان أمانة البحث وتهرب من المسئولية فالله مطّلع عليه . . وقائد الطائرة التى يسبح بها فوق السحاب الله مطّلع عليه والفلاح فى أرضه حتى

الذى يقوم بإصلاح الحنفيات ورجل الشرطة الذى يحافظ على الأمن ليلاً .
كل هؤلاء الله مطلع عليهم وسوف يحاسبهم فى يوم آت لا ريب فيه لكنه فى الدنيا مع هذا التفاوت أمرنا الله بالتعاون ونبهنا إليه لأن به تدوم المودة وتتحسن العلاقات وكل إنسان فى موقع يحتاج إلى الآخر فالذى يقف على المغزل يحتاج النسَاج وهما يحتاجان إلى الزارع والزارع يحتاج إلى التاجر والتاجر يحتاج إلى الصانع ومن هنا ترى تشابك المصالح واحتياج الكل إلى الفرد واحتياج الفرد إلى الجماعة واحتياج الجماعة إلى الدولة والدولة إلى الوزراء والوزراء إلى قائد ولذلك نبهنا الإسلام إلى الرضا فمع أننى أرضى بوضعى لكننى أتفنن كيف أرقى به وأطوَره وأنَمّيه بالتخطيط المنظم والانضباط على القيم الأخلاقية والحفاظ على كيان الآخرين ولهذا يقول الله تعالى ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] . ويقول أيضاً : ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢]

إن الشاب الناجح هو الذى يرضى بوضعه الاجتماعى ولا يتذمر ولا يتأفف ويحاول دائماً أن يرقى بالعلم وأن يتبوأ المكانة الرفيعة بالخلق لقول الرسول ﷺ (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وأشرف المنازل وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة فى جهنم) رواه الطبرانى عن أنس . . ويقول النبى ﷺ (كرم المؤمن دينه ومروؤته عقله وحسبه خلقه) رواه الحاكم عن أبى هريرة .

إن الله يعطى الدنيا من أحب ومن لا يحب لأنها دار ابتلاء (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) والدنيا حلوة بالرضا والقناعة مع العمل الجاد وتحصيل العلم لأن الله سبحانه وتعالى أعطى الدنيا للناس جميعاً ولكن يمنح الدين لمن أحب . . فمن أحبه الله وفقه إلى الدين الذى بعث به الأنبياء ثم الاعتراف بسيدنا محمد بأنه خاتم الأنبياء وأن القرآن هو خاتم الكتب السماوية وأن وحى السماء قد انقطع لذلك فإن أعظم عطية الله لك أن تؤمن بالله ورسوله والكتب المنزلة ثم يستقر فى وجدانك . . أن الفقر ليس بعيب فالله تبارك وتعالى هو القائل ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] . وقد جاء الحديث القدسى (إن من عبادى من إذا أغنيته فسد حاله) ومن ثم فقد يكون الفقر علاجاً لشىء يعلمه الله وتكريما للشخص لأنه مع فقره يترفع عن أن يذل نفسه ويسعى فى تحصيل العلم لتكريم شخصه لأن الله سبحانه كما قال ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١] . إذا كان الفقر ليس بعيب . . فيكون العيب إذاً هو الشكوى من الفقر والاستكانة له لأننا عندما نقرأ التاريخ نرى أن الشخصيات العلمية الفذة التى ظهرت فى سماء المجتمع وتألقت كالنجوم الزاهرة تخرجت فى بيوت معدمة . . وكان صلتهم بالله والرضا عنه والقناعة بالقليل حافزهم على التقدم فى ساحة العلم وساعدهم ذلك على الرقى والاختراع وكان الوسام الذى وضع على صدورهم أنهم (راضون) . . .

إن الفقر الحقيقى هو فقر الأخلاق الذى يأتى نتيجة تبذير المال وإنفاقه فى غير وجهه الصحيح أو يكون الفقر ناتجاً عن سوء الأخلاق الناشئ عن الكسل

والخمول وعدم السعى بجد واجتهاد أو يكون ناتجاً كذلك من سوء الخلق بارتكاب المعاصى والموبقات فيرفع الله البركة من أموالهم فمهما ملكوا من أموال فإحساسهم بالفقر مستمر وحاجتهم إليه دائمة فتضيق الدنيا أمامهم ويشعرون باليأس والقنوط وصدق الله العظيم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] . وفقر الأخلاق ناتج عن عدم الثقة فى الله والرضا بما قسم فتجد أن الإنسان يصاب بالطمع والشره .

لهذا نحن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قسم الأرزاق وأعطى كل إنسان ما يناسبه وأن الله عادل بين خلقه لا يظلم ربك أحداً ونحن نؤمن بأن علم الله قديم أزلى وقائم بذاته وهو سبحانه عنده أم الكتاب والإنسان لو اجتهد ونهض بأداء الواجب وعمل بكل قوته وإرادته فلو علم الله منه الخير فى اتجاهه وقصده ليسر له سبل الخير وأعانه على الأداء ويسر له الأمر لهذا كانت دعوة القرآن لنا المستمرة إلى العمل والعمل الجاد . . الذى ينهض بصاحبه ويؤدى خدمة للمجتمع ويرقى به وصدق الله العظيم ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبه: ١٠٥] .

من هنا كان اهتمام الإسلام بالشباب وورود ذكرهم فى القرآن فى مواطن كثيرة وحل قضاياهم برفق ولين لأنهم أرق أفئدة وألين قلوباً ولأنهم الأساس الذى يقام عليه بنيان المجتمع . . فغداً منهم العلماء والوزراء والأطباء والمهندسون والفنيون والمشرفون على كل مرافق المجتمع . . ولكى يكون الشاب أمينا على نفسه محصناً بالأخلاق الفاضلة ناهضاً بأداء الواجب عليه

كان عليه أن يعرف حق الله أولاً وحق الله هو أن الإنسان يعبد ربه الذى خلقه وسوّاه لأن العقيدة الصحيحة هى حصن الإنسان الحصين ولهذا قال الرسول ﷺ لابن عباس الذى يقول (كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال لى يا غلام ألا أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لنم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت الأمة على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) . . كما يقول معاذ بن جبل رضى الله عنه كنت رديف النبى ﷺ على حمار فقال لى (يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ فقلت الله ورسوله أعلم قال . . حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً) وإلى كل هذه المعانى أشار الحق سبحانه بقوله : - ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥١-١٥٣]

والقرآن هو الذى يوضح لك طريق الخير والسعادة ويعرض لك حل

مشاكلك من خلال التوجيهات والقيادات الرائدة من أنبياء الله ورسله الذين جاءوا إلى الدنيا يعالجون المشاكل الاجتماعية بروح المودة وبالرفق واللين . . لأن أنبياء الله كانوا هم الهداة التقاة المصلحون لأن الله صنعهم بعنايته وكمَلهم بالأخلاق وجمَلهم بمحاسن الصفات والعادات ثم قال لنا موجهاً ومنبهاً ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] . ذلك لأن هؤلاء الأنبياء هم القيادات الطبيعية والنماذج الرائدة للبشر جميعاً لأنهم أطباء الإنسانية وهداتها عالجوا الأخطاء بالرفق والحكمة والقول الحسن والكلمة الجميلة لأنهم كما قال عنهم ربنا ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] . ثم قال لنا عن سيدنا رسول الله ﷺ وهو القدوة الذى مدحه ربه بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم : ٤] . كما قال عنه بأنه ﷺ " ما ضل فى حياته ولم يمل مع الهوى فى يوم من الأيام وما غوى حتى فى مرحلة شبابه كما يفعل البعض " فقال ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم : ١-٤] . لهذا أمرنا الله أن نتخذ النبى محمداً ﷺ قدوة فى سلوكه العام وفى سلوكه الخاص . . ونحن إذ نتخذه قدوة . . لا نقف جامدين لأن الإسلام دائماً ينبهنا إلى أن الدين يسر لا عسر وأنه لا حرج فى الدين فعلينا أن نراعى الفروق الزمنية والتطور الإنسانى والملاءمة الاجتماعية فليس معنى أن نقتدى به أنه كان يركب الجمل وقد تطور الزمن وأفرزت الصناعة لنا السيارة فنتخلى عنها لنركب الجمل ونقول اقتداءاً برسول الله فهذا تزمت فى دين الله وبلاهة لأن المسلم مرن يتعايش مع التطور والتقدم ما لم يصطدم بقاعدة أخلاقية أو قيمة دينية هنا نقول لا لأن الأخلاق والقيم ثابتة كالأمانة والعفة والمحافظة على

العقل إلى غير ذلك من القيم الثابتة التى لا تقبل القسمة أبدا . . أما ركوب الجمال أو الأكل باليد أو لبس الساعة فى اليمين أو الشمال أو طول الجلباب أو قصره فهذه عادات اجتماعية تقبل التغيير فيها أو التطوير فالله سبحانه هو القائل ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] . والرسول ﷺ يقول (أنتم أعلم بأمور دنياكم) إن المسلم دائماً يتمسك بدينه . . والدين قيم وأخلاق . وآداب اجتماعية يتمسك بها المسلم فى سلوكه العام وإن حدث خلاف حول قضية من القضايا علينا أن نستعمل الحوار المؤسس على قيم الفضيلة والبحث عن الحق والاستماع إلى من أحاوره وأن يكون الطرح للقضية قائماً على المنطق مع سباق البراهين الدالة على وجهة نظرى . . وفى نيتى وضميرى أننى أبغى الحق ولا أتطاول على من أحاوره بألفاظ خارجة عن دائرة الحوار فالله تبارك وتعالى ينهانى فى القرآن الكريم إلى أن يكون حوارى مع غير المؤمن يرتبط بالقيم الأخلاقية ولا يخرج عن حدود الأدب . . فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ ويقول أيضا ﴾ [النساء: ١٤٨] . ويقول أيضاً ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦] . بل إنه فى حالة الخصام مع أى شخص ينبهك القرآن إلى الصبر لأن الصبر دواء وعلاج وهو مفتاح الفرج فيقول لك القرآن ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ [المزمل: ١٠] إنك عندما تقرأ القرآن ترى أسلوب الحوار مع أنبياء الله والجاحدين . . أسلوبًا يوصل إلى الحق ويظهر الحقيقة ونقرأ فى ذلك فى سورة البقرة حوار سيدنا إبراهيم مع الذى حاجه فى ربه . . كما نقرأ الحوار

الذى دار من إبراهيم عليه السلام مع ربه لمعرفة كيف يحيى الله الموتى ، ثم ننتقل كذلك إلى سورة الأنعام لنقرأ الحوار الذى دار مع إبراهيم عليه السلام وأبيه واستدلاله بالآيات الكونية الظاهرة أمام عينيه من الكوكب والقمر والشمس وأنها لا تنفع أبدا لتكون آلهة . . وكذلك الحوار فى سورة مريم مع إبراهيم وأبيه أيضا ، ثم ننتقل إلى سورة طه لنرى ونقرأ الحوار الذى دار بين موسى وفرعون ، وكذلك ما جاء فى سورة الشعراء من حوار بين موسى وفرعون وما جاء فى سورة النمل بين سليمان عليه السلام وبين ملكة اليمن إلى غير ذلك كثير وكثير فأنت تجد الحوار الذى يؤصل فى النفس حقيقة واحدة هى الوصول إلى الحق ، وليس الاستعلاء ولا التفاخر لأنه فى هذه الحالة ينفخ الشيطان فى الإنسان ويدفعه ذلك إلى التعالى والتكبر وعدم الانصياع إلى الحق وهذا أمر مرفوض فى الإسلام ولذلك حدثنا رسول الله ﷺ بأنه يضمن بيتا فى الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقاً فى وهو الجدل العقيم والمناقشة السقيمة التى لا تؤصل معرفة ولا تظهر حقيقة .

والقرآن الكريم يسوق لنا الحوار الذى يتم بين أى نبى وقومه ليدربنا نحن على أسلوب التعامل فى الحوار لأن أى أمة يظهر فيها الجدل ويتفشى دون الوصول إلى الحقيقة هى أمة تقضى على نفسها بلسانها وتهدم كيانها الاجتماعى وينتشر فيها النزاع حول (لا شىء) لهذا قال الله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال : ٤٦] . وعلى هذا الأساس نرى أن القرآن الكريم يعالج قضايانا وهو فى أثناء ذلك يضع لنا العلاج الشافى الذى يحمينا من الفرقة ويبعدنا عن الخلاف وهذا العلاج أن كل واحد منا يحب الناس جميعاً ويتمنى

لهم الخير والسلامة لأن الرسول ﷺ يقول لنا (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) فحب الخير للناس أمر مهم جداً ولهذا قال الله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣-١٠٥] . إن الخلاف دائم يؤدى إلى العداوة والبغضاء وهنا تضيع الحقيقة وتكون الفوضى . . لهذا أمرنا الله أن يكون بيننا تفاهم بلغة المنطق السليم والحجة القوية وسباق الأدلة وإن اختلفنا فعلينا أن نرجع إلى أصحاب الرأى والعلماء أهل التخصص ومن عندهم سعة فى الإطلاع لأن الله سبحانه وتعالى ينهنا إلى ذلك حيث قال لنا ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ٨٣] . إن القرآن يا أخى مأدبة الله فى الأرض فعلينا أن نقبل على مائدته لنتعلم ونهتدى ليوصلنا ذلك إلى السعادة التى يبحث عنها كل شخص فى هذه الحياة وصدق الله العظيم ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] .

والحكمة دائمة ضالة المؤمن فمن وجدها فهو احق الناس بها واختلاف الرأى لا يفسد للود قضية . هذا هو الاساس فى الحوار . هدفه . الوصول للحق . ولو على لسان غيرى . . .

الفصل الثانى

بداية الإنسانية

خلق الله سبحانة وتعالى آدم بيده . . وقد خلقه من طين . . ثم خلق منه حواء . . وأسكنهما الجنة . . وأخبرهما أن الشيطان لهما عدو فاحذراه . وعليكما أن تأكلا من ثمار الجنة . . إلا من هذه الشجرة . . وكان الغرض من ذلك الابتلاء (معرفة قوة الإرادة والعزيمة عند الإنسان الذى عنده إرادة وله حرية مطلقة يفعل ما يشاء) . فالإنسان مخير فى حياته غير مسير . . ولهذا قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ [طه : ١١٥] . لكن الشيطان وهو رأس كل فساد تحايل على آدم ووسوس له وهمس فى أذنه وقال له ﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى ﴾ [طه : ١٢٠] . بل قال لهما من باب الإغراء ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِه الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الأعراف : ٢٠-٢٢] . . وكان هذا من باب تزيين المعصية والدفع إليها والترغيب فى ارتكابها وهذا أسلوب يستعمله شيطان الإنس كذلك لأن الشياطين وهم أساتذة الإجرام لهم مدرسة من الإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً . . فشيطان الإنس يغويك ويقودك إلى بؤر الفساد وأماكن اللهو ويدفع إلى الانحراف وقد نبهنا الله إلى ذلك فى القرآن الكريم حتى لا نندم فقال لنا الحق سبحانه ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ

الإنس رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٨، ١٢٩] .

لقد نسى آدم عهد ربه وأكل من الشجرة لذلك أنزله الله إلى الأرض ومعه حواء . . وكان الشيطان قبلهما لأنه تكبر ولم يستجب لأمر الله وبدأ الثلاثة على الأرض . . آدم وحواء رفعا أيديهما إلى السماء وقالا ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف : ٢٣] . وقبل الله توبة آدم وحواء لأن الله رحيم رحمان يقبل توبة العاصى إذا ندم لكنه سبحانه وتعالى يحب الملتزم ويبارك الشخص الذى يتمسك بالهداية ويحافظ على القيم الأخلاقية لهذا أنزل على آدم (البيان الأول) فى تاريخ الإنسانية عندما بدأت نشاطها على ظهر الأرض تحقيقاً لمشيئة الله وإرادته ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة : ٣٠] . البيان نصه ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾[طه : ١٢٣-١٢٧] .

ونستخلص من هذا البيان ما يأتى :

١ - بدأت الإنسانية منذ لحظتها الأولى على ظهر الأرض مطالبة بـ

أ - الإيمان بالله الواحد .

ب -العقيدة الصحيحة فى أعماق الإنسان تكون بالله الواحد الذى له الأسماء الحسنى لأنه واهب الحياة ومانح الأرزاق وصاحب الملك والملكوت

ج - أن الله سبحانه سيبعث إلى الإنسانية بما يهدى خطاها ويرسم لها أفضل الطرق وأحسن السبل لتسير البشرية فى طريق النور وتقيم فى حياتها ميزان العدل والفضيلة والأخوة والتسامح .

د - الذين يحملون هدى الله " أنبياؤه " وهم من البشر ولكنهم فى قمة الأخلاق ومحاسن العادات يلتزمون بالصدق والأمانة والفطانة والكياسة وحسن تصريف الأمور لأن الله سبحانه كما قال فى القرآن الكريم ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى : ٥١] .

هـ - بين تاريخ ميلاد الشخص وتاريخ نهاية حياته هذه الفترة على الإنسان أن يعمل بجد واجتهاد وأن يبتكر فى أسلوب الآداء ويعمل على تطوير الحياة وعليه أن ينتفع بكل ما فيها متعاونا مع غيره بحب وإخلاص ودليله فى حياته منهج (كتاب) يبعث الله به رسوله ليكون حجة على البشرية ولقد قال لنا النبى محمد ﷺ (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) .

٢ - يجمع كل ذلك مع قاله ربنا فى سورة البقرة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : ٢-٤] . كذلك ما جاء فى نفس السورة ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

٣ -لقد انطلق موكب الإنسانية يسير فى الحياة وهى متمسكة بدينها مدركة

تماماً لحقيقة وجودها . . لكن الشيطان ومدرسته كانا يمارسان نشاطهما بقوة وهمة فكانت الإنسانية بين الحين والحين تتعثر خطاها ويضعف إيمانها بل قد تخرج عن طريق الصواب وتتنكب فى مسيرتها وتنتكس فتعبد الشجر أو الحجر وتسجد للشمس أو القمر فكان من رحمة الله أنه يبعث الرسل ليصححوا الأخطاء ويقوموا الاعوجاج ويهذبوا الأخلاق ويرشدوا الإنسانية إلى أن هذا الكون يدبره إله واحد لأنه لو كان معه إله آخر لحدث بينهما خلاف هذا يريد ليلاً وهذا يريد نهاراً فلو كان مع الله أى إله لحدث صراع ولما لم يكن هناك صراع دل ذلك على أن الإله واحد وهذا الإله هو الخالق القادر ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] . ﴿مَا اتَّخَذَ الله مِن وَلَد وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَه إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَه بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١] . والحق سبحانه من رحمته بالناس أنه ما من أمة فى أى زمان انحرف بها الهوى وتشعب بها الطريق وظهر الضلال وعم الانحراف إلا وبعث إليهم رسولاً وإن من أمة إلا خلافيها نذير ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى الله الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِه والله يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣] . فالأنبياء هداة مصلحون أخذوا بيدنا إلى طريق الخير ونحن لا ننسى أن الله سبحانه وتعالى أودع فينا العقل فمع العقل الأنبياء ومع الأنبياء الكتاب . . والإنسان بعقله يتأمل فى هذا الكون فى سمائه وأرضه حيوانه وطيره بره وبحره وهذا دليل على قدرة القادر لأن الكون كتاب مفتوح ثم هناك نفس الإنسان على الإنسان

أن يتأملها لأن الله سبحانه وتعالى ذكر لنا ذلك بقوله ﴿الله الَّذي خَلَقَكُم مِّن ضَعْف ثُمَّ جَعَلَ منْ بَعْد ضَعْف قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ منْ بَعْد قُوَّة ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَليمُ القَديرُ﴾ [الروم: ٥٤] . بل على الإنسان أن يتذكر كيف خرج من بطن أمه وكيف نما ويقرأ فى ذلك قول الله ﴿والله أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُون أُمَّهَاتكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] . إن الإنسان العاقل هو الذى يتذكر دائماً نعم الله التى هى دائمة وكثيرة لا يستطيع الإنسان أن يحيط بها ولا يحصيها عداً وخذ مثلاً . . أمر الليل والنهار . . ماذا يحدث لو أن الدنيا كانت نهاراً دائماً . . أو العكس . . بل ماذا يحدث لو أن الجو استمر على حالة واحدة . . هل يمكن أن يستمر وجود الإنسان أعتقد أن الإجابة صريحة (لا) لهذا ذكرنا ربنا بذلك فقال لنا ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إلَى يَوْم القيَامَة مَنْ إلَهٌ غَيْرُ الله يَأْتيكُم بضيَاء أَفَلاَ تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إلَى يَوْم القيَامَة مَنْ إلَهٌ غَيْرُ الله يَأْتيكُم بلَيْل تَسْكُنُونَ فيه أَفَلاَ تُبْصرُونَ وَمن رَّحْمَته جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لتَسْكُنُوا فيه وَلتَبْتَغُوا من فَضْله وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٣] . كذلك الشمس والقمر يرتبط بهما مواقيت الناس وبهما عرفوا عدد السنين والحساب ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بحُسْبَان﴾ [الرحمن: ٥] . فتلك آية من آيات الله ودليل على قدرته ثم هناك نعمة (الماء) وهو عنصر ضرورى لكل كائن حى وقدرة الله فائقة فى تيسيره ونحن نذكر أن القادر على العطاء قادر على المنع لأنه مع توفر النعمة لا يستطيع أحد من البشر أن يمنع سلبها إذا توجهت مشيئة الله إلى ذلك لهذا قال الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا منَ السَّمَاء مَاءً بقَدَر فَأَسْكَنَّاهُ في الأَرْض وَإنَّا عَلَى ذَهَاب به لَقَادرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨] . والقرآن يوجه تساؤلاً لبنى البشر فيقول لهم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ

أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك : ٣٠] . لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن المطر لا يضيع لوقته ولا يذهب سدى وإنما قدرة الله تعالى جعلت له فى الأرض العيون والمجارى المائية وسلكته ينابيع فى ذلك لينتفع به الناس عند الحاجة وعلى مدار حياتهم لأن الله سبحانه ينزل الماء بقدر حاجة البشر فلو زاد حدث طوفان ولو نقص حصل قحط تلك قدرة الله العلى العظيم ومن عجب أن البحرين يلتقيان أحدهما عزب فرات والثانى ملح أجاج لا فاصل بينهما ولكن هناك قدرة الله تجعل أحدهما لا يختلط بالآخر لأنه لو صار الماء ملحاً لفسدت حياة البشر ولو صار الماء عذباً لفسدت حياة البشر أيضاً لأن كل واحد له خصائص ومنافع لهذا يقول الحق سبحانه ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر : ١٢] . ويقول سبحانه ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩ ، ٢٠] .

هذه نعم الله وآلاؤه الذى له الأسماء الحسنى وهو الذى خلق فسوى وقدر فهدى وبعث إلينا الرسل مبشرين ومنذرين لألاَّ يكون لأحد على الله حجة ولما كان الإنسان لا يستطيع أبداً أن يعرف حق الله ولا يتعرف على أسمائه وصفاته إلا من خلال الأنبياء لذلك وجب علينا أن نؤمن بهم ونشهد لهم بأنهم قاموا بأداء الرسالة وتبليغ الأمانة وأن خاتم الأنبياء هو سيدنا محمد الذى جاء خاتماً للأنبياء والمرسلين وشريعته نسخت ما قبلها من شرائع لأن الدين مصدره واحد هو الله . . والشرائع التى نزلت على الأنبياء حواها القرآن الكريم وأضاف عليها ما يلائم التطور الزمنى وما يناسب الأجيال فى مستقبلها لأنها

رسالة عالمية خالدة . . لا تتقوقع فى مكان ولا تقف عاجزة أمام أى حدث أو اختراع وصدق الله العظيم ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

والإسلام الذى نؤمن به هو شرع من قبلنا وقد قال ربنا جل جلاله ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣] . لذلك أمرنا الإسلام أن نتعامل بالرفق والتسامح مع الآخرين ولا نكره أحداً على الدخول فى الدين فالحق سبحانه وتعالى يقول ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى ﴾ [البقرة: ٢٥٦] . ويقول أيضاً ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] . وإذا كان الإسلام قد أمرنا بأن ندعوا الناس برفق فلا نرفع سيفاً فى وجوههم ولا نستعمل العصا لإجبار أحد على الدخول فى الدين . . فالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والقول الطيب والكلمة اللينة الهادئة وفى نفس الوقت أمرنا أن نتعامل مع من يخالفنا فى الدين بالرفق والتسامح وعدم الاعتداء عليهم لأن نبى الإسلام يقول (من آذى ذمياً فقد آذانى) والحق سبحانه وتعالى يقول ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨] . بل إن الإسلام أجاز لنا أن نأكل من طعام المسيحيين واليهود وأن نتزوج من نسائهم وأن نعاملهم معاملة كريمة ما داموا لنا مسالمين ومعنا متعاونين يقول الله سبحانه ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالمُحْصَنَاتُ

منَ الْمُؤْمنَات وَالمُحْصَنَاتُ منَ الَّذينَ أُوتُوا الكتَابَ من قَبْلكُمْ إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصنينَ غَيْرَ مُسَافحينَ وَلاَ مُتَّخذي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بالإيمَان فَقَدْ حَبطَ عَمَلُهُ وَهُوَ في الآخرَة منَ الخَاسرينَ ﴾ [المائدة: ٥] . إن الإسلام دين اجتماعى يدعو إلى الصلاة فى وضوح وبصوت عال ويراعى شعور الآخرين . . وينهى عن الإساءة للآخرين . . ويدعو الناس جميعاً إلى أن يتعاونوا على البر والتقوى وينبه المسلم أن يكون حذراً يتوقف دائماً ليحاسب نفسه ويتعرف على الاتجاهات التى تجرى من حوله لأن المسلم فطن ذكى علمه القرآن أن يتعامل بصراحة ولباقة ونبهه إلى ذلك فى قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا خُذُوا حذْرَكُمْ فَانفرُوا ثُبَات أَو انفرُوا جَميعًا ﴾ [النساء: ٧١] . على هذا الأساس وضع سيدنا محمد ﷺ اللبنات الأساسية فى بناء شخصية الإنسان المسلم ليكون قوى العقيدة .

الإيمان أمر ضرورى

إن الإنسانية فى حقيقة أمرها ما هى إلا تجمع يرتبط بعقيدة يتمسك بها الفرد بمحض إرادته . . والتاريخ أكبر شاهد على أن الإنسانية طوال تاريخها ترتبط بالدين ومن هنا نشأت قصة الصراع بين أهل الإيمان وأهل الكفر . . ولن نستطيع أبداً أن نفهم حضارة التاريخ إلا من خلال الارتباط الدينى بغض النظر عن الحقيقة . . لأن الإيمان من الأمور المركوزة فى النفس . . فطرة الله التى فطر الناس عليها . . وانظر مثلاً إلى مصر الفرعونية عاش الناس بالدين ومن أجله أقيمت معابد الكرنك والأقصر والأهرامات وبسبب الدين تقدم علم الطب وتفنن الناس فى التحنيط ثم برعوا فى الهندسة وازدهرت فنون النحت والتصوير وتفجرت العلوم والمعارف وارتبطت بالمنشآت والهياكل والقصور وظهر النقش على المبانى والكتابة على الجدران وفيها الوصايا الحكيمة والسيرة الذاتية للملوك والملكات وهناك الحديث عن حضارة بابل وآشور والحديث عن هذه الحضارة يبلغ حد الأسطورة فى روعة البناء وجمال الطبيعة . . وهناك الحديث كذلك عن سد مأرب ومملكة سبأ . . ثم داوود عليه السلام الذى ألان الله له الحديد . . وسليمان الذى سخر الله له الريح وأسال له عين القطر . . وهناك الصراع الذى كان بين الفرس والروم ولعلنا إن أمسكنا بالمصحف وقرأنا سورة النمل ، وسورة سبأ ، وسورة الروم . . كذلك ما كان من أمر ذى القرنين فى سورة الكهف سوف يجد الإنسان الحديث عن التاريخ وإرتباط الإيمان به . . كذلك نلحظ بالتأكيد . . أن الإيمان كذلك ضرورة أخلاقية لأن الإنسان دائماً يشعر بأن الله معه . . ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ

مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] . لذلك ترى أصحاب الضمائر الحية والنفوس المؤمنة تسارع إلى الخير دائماً بمقتضى فطرتها أما النفوس الملحدة المنحرفة تخاف من القوانين التى وضعها البشر ولا تخاف من الله . . علماً بأن القوانين مهما أحكمت لا تستطيع أن تسيطر على توجيه الإنسان ولا تحول القوانين د ون مخالفتها . . لأن القانون يحتاج إلى من يحميه وعلى تنفيذه . . ومن يحمى القانون ينام ويغفل . . وقد لا يكون معصوماً فيقبل الرشوة ليغض بصره عمن خالف القانون .

أما الدين فهو عقيدة راسخة فى قلب الإنسان . . يعصم الإنسان من التفلت لأن الذى يحرس الدين فى أعماق الإنسان . . نفس الإنسان . . هذه النفس تشعر دائماً بأن الله معها أينما كانت خاصة وأن نبى الإنسانية سيدنا محمداً ﷺ قال لكل البشر (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك) هـذا الإله العظيم الذى نعبده وندعوه هو معنا فى كل مكان ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] . ولقد قال لقمان الحكيم لولده وهو يوصيه كما جاء فى القرآن الكريم ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ١٦] هـذا الإله العظيم ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِياً فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام : ١٣ ، ١٤] . ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام : ٥٩ ، ٦٠] . ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الأَرْض مَا يَكُونُ من نَجْوَى ثَلاثَة إلاَّ هُوَ رَابعُهُمْ وَلاَ خَمْسَة إلاَّ هُوَ سَادسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى من ذَلكَ وَلاَ أَكْثَرَ إلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بمَا عَملُوا يَوْمَ القيَامَة إنَّ الله بكُلِّ شَيْء عَليمٌ﴾ [المجادلة : ٧] .

إن الإنسانية عندما أشرقت الأرض من حولها بنور ربها وعرف الناس طريقهم إلى الإسلام الصحيح وتمسكوا بالدين وقادهم ذلك إلى حسن التربية . . قدموا للإنسانية نماذج من البشر فريدة فى تكوينها فذة فى كل شىء وهذه النماذج من البشر كانت فى التاريخ غرته ومن الزمان ربيعه لذلك أبدعوا حضارة لم تعرفها الإنسانية من قبل شملت العالم من أقصاه إلى أقصاه وأكبر دليل على ذلك هذه المساجد المنتشرة التى هى مشاعل أضاءت الطريق للحضارة الحديثة وهكذا الإيمان يقود خطى البشرية دائماً إلى أمرين :

١ -أن يمشى الإنسان على الأرض بخلق السماء . . يشعر بأن الله معه . . وبأعماقه نفس حية وضمير يقظ . . يخاف من الله قبل أن يخاف من الناس .

٢ -يتطلع الإنسان إلى السماء بحسن السعى على الأرض . . يتعامل مع الناس بأدب . . يحترم الكبير . . ويعطف على الصغير . . ويعرف للعالم حقه . . أمين على أسرار الناس وودائعهم . . صادق فى كلامه لا يكذب أبداً . . يراقب ربه فلا يغش ولا يزور . . وفى بالعهد . . يمتلئ نشاطاً لأنه يؤمن أن عليه أن يعمل وأن الله معه ولن يخيب سعيه لأن تقوى الله تنجيه من كل ضيق والثقة فى الله تفتح أمامه باب الأمل الذى يضئ أمامه الطريق .

فيشعر الإنسان بالسعادة الكاملة وهو يؤمن أن الحياة فى منطق الإيمان مبنية على قانون عام هو (الابتلاء والامتحان) وصدق الله العظيم ﴿وَنَبْلُوكُم

بالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء : ٣٥] . وقول الحق كذلك ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ [العنكبوت : ٢-٦] إن المؤمن دائماً تجده شاكراً ربه عن العطاء وتجدد النعمة . . صابراً في مواقع القضاء والقدر لأن النفس البشرية إذا ضاقت فما على صاحبها إلا أن يلجأ إلى الله سبحانه . . فما من عسر إلا ويعقبه يسر وما من ضائقة إلا ولها فرج قريب والإنسان وهو يصارع الحياة فإن أصابه الخير . . لا يفرح بذلك الفرح الذى ينسيه ربه . . وإن نزلت به ضائقة لا يسخط ويلعن الدنيا ويخيل إليه أن الحياة توقفت ذلك أمر الإنسان ضعيف الإيمان لأن اليأس يدخل إلى النفوس الضعيفة ولهذا قال لنا ربنا ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد : ٢٣] . ومن وصايا الرسول ﷺ (احرص على ما ينفعك ولا تعجز) .

إن المؤمن دائماً مسدد الخاطر . . ملهم الضمير . . يمنحه الله هداية يفرق بها بين الحق والباطل والطيب والخبيث ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] . أما الإنسان ضعيف الإيمان واهن العقيدة تخور عزيمته أمام الأحداث ولا يقوى على مصارعتها لأن الإيمان فى قلبه ضعيف ، وضعيف الإيمان لا يقوى على مواجهة الحياة ولهذا قال الله تعالى ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] لهذا على كل شخص أن يعمل على تقوية الإيمان فى نفسه لأن الإيمان يزيد وينقص كما قال ربنا سبحانه ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ

زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥] .

والإنسان المؤمن قوى الإيمان تجده يتحمل المسئولية بثقة وجدارة ويلوم نفسه أن قصر فى الطاعة أو أفسد فى الأرض كما قال ربنا عن هؤلاء ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ١، ٢] . فالنفس اللوامة هى التى تلوم صاحبها إذا قصر وأهمل فى أى واجب . . كأن يهمل المذاكرة . . أو يتركها ويذهب إلى السينما أو يقف على النواصى يتلفظ بألفاظ نابية تجرح شعور الغير أو يرمى بفضلات طعامه فى الشارع أو يسىء إلى الجار أو يأخذ قلم صاحبه من وراء ظهره أو يحمل فى جيبه صوراً خليعة يطلع عليها هذا وذاك إلى غير ذلك من الأخطاء هنا تجد قوى الإيمان . . تقوم معركة بينه وبين نفسه . . ضميره يؤنبه . . نفسه تلومه . . لذلك سرعان ما يعود إلى الحق . . ويبتعد عن كل الأخطاء لأن عزيمته قوية وهو يملك إرادته بنفسه .

أما ضعيف الإيمان فيرتكب هذه الأخطاء وغيرها كثير بل تجده يتمادى ويلعب القمار ويدخن وهو لا يبالى لأن ضميره مات ونفسه خربة . . لذلك يتمادى ويرمى بأخطائه على القدر . . ويقول (اللى مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين) ونقول له . . تعال نحن وأنت نقف أمام مرآة وأرنا ما هو مكتوب على الجبين فيعجز . . لكن سرعان ما يقول . . أعمل إيه . . ما هو ربنا كتب على ده ونقول له . . هل قرأت ماكتبه ربك عليك . ؟ يقول لا . . بس أنا أعرف إن ربنا كاتب كل حاجة . . نقول له نعم . . كتب الله كل

شيء . . لكن الحق سبحانه لم يطلع أحداً من البشر على ماكتبه عليه . والرسول ﷺ وهو أفضل الخلق وأعظم الناس منزلة عند الله يقول لنا كما علمه القرآن : ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراًّ إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[الأعراف : ١٨٨] . نحن نقول لهذا الشاب الذى يرمى بأخطائه على القدر . . أين إرادتك . ؟ أين عزيمتك ؟ أين حريتك ؟ لقد وضع الله أمامك كل شيء فى القرآن وقال لك أنت حر أمامك مسجد . . وأمامك مسرح . . أنت الذى تدخل هنا أو هناك بارادتك . . هناك من ينادى حى على الصلاة . . وهناك من ينادى تعال نلعب عشرة طاولة ونشرب حجرين وأنت تسمع هذا وذاك وليس هناك من يمسك بالعصا ويرهبك ويخيفك لتذهب إلى هذه أو تلك . . فأنت حر . وعليك أن تتحمل المسئولية والحق سبحانه وتعالى يقول﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ [الكهف : ٢٩-٣١] .

إن الإنسان الفاشل يتحمل مسئوليته فى الدنيا والآخرة . . أما أن يرمى بفشله على القدر فذلك لن يغير من الأمر شيئاً ولقد حكى القرآن لنا قصة بعض الفاشلين ورميهم بأخطائهم على القدر فالقرآن رد عليهم بصريح العبارة ليوضح لهم فهمهم الخاطئ ويبنى أمام أعينهم جريمتهم المنكرة . .

فقال الحق سبحانه ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا من شَيْءٍ كَذَلكَ كَذَّبَ الَّذِينَ من قَبْلهمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عندكُم مِّنْ علْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إن تَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إلاَّ تَخْرُصُونَ قُلْ فَللَّه الْحُجَّةُ الْبَالغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩] . ويبين لنا أن الذين يلعبون فى الدنيا وإيمانهم ضعيف وعزيمتهم واهية سيذوقون أشد أصناف العذاب . . عذاب فى الدنيا . . مثل الاكتئاب الفكرى والتمزق النفسى . . انفصال الشخصية . . علاوة على الأمراض التى لم تكن معروفة من قبل . . وهذه الأشياء تعم الناس جميعاً لأن الله قال لنا ﴿واتَّقُوا فتْنَةً لاَّ تُصيبنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا منكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ الله شَديدُ العقَاب﴾ [الأنفال: ٢٥] . لكن كما قلنا من قبل المؤمن راض عما نزل به صابر لقضاء الله وقدره لذلك ثوابه عظيم وأجره كبير ﴿إنَّمَا يُوَفَّى الصَّابرُونَ أَجْرَهُم بغَيْر حسَاب﴾ [الزمر: ١٠] .

أما ضعيف الإيمان فتجده لاه غافل كما قال عن أمثاله القرآن ﴿وَلَئن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبالله وَآيَاته وَرَسُوله كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لاَ تَعْتَذرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إيمَانكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] . وعلى هذا الأساس نرى أن الإيمان أمر ضرورى لتستقيم الحياة الدنيا ويعيش الإنسان فى سعادة دائمة يعمل الخير ويحبه للناس جميعاً . . والإيمان دائماً يقود الإنسان إلى فعل الشىء الحلال المباح الذى يعود بالنفع على الإنسانية كلها . . فخير الناس أنفعهم للناس . . ويقول الشاعر :-

إذا الإيمان ضـــاع فلا أمان ولا دينا لمن لم يحـــى دينا
ومن رضى الحياة بغير دين فقد جـعل الغناء لها قرينا

فالإسلام خير هاد للشباب إلى طريق الرشاد . . والشباب الذى يريد الخير

لنفسه وينشد الحياة السعيدة المليئة بالأمن والطمأنينة وهدوء البال وراحة النفس عليه أن يعرف ربه الخالق المنعم المتفضل واهب الحياة . . ومن وراء هذه المعرفة على الشاب أن يصل نفسه بربه عن طريق العبادة التى فرضها الله علينا وهذه العبادة تصقل نفس الإنسان وتسمو بروحه وتجعله يرجو ثواب ربه ويسأله أن يمن عليه بالتوفيق والسعادة . . ولما كان الإنسان منا يحب للناس ما يحب لنفسه فعليه أن يدعو غيره إلى الالتحاق بركب المؤمنين الذين يعبدون الله ويعملون لخدمة الإنسانية وصالح المجتمع لأن ثمرة الإيمان عندما تخالق الناس بخلق حسن وأنت تتسم بالمروءة والهمة والشجاعة تكون مثالاً للخير ودليلك فى ذلك سيدنا إبراهيم الذى كان يخالط الناس وينير لهم الطريق ويدعوهم إلى الله بالحجة والمنطق . . ثم سيدنا محمد قدوتنا إلى الله ورائدنا على طريق الخير ومعلمنا ومرشدنا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوالله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١] . وعليك أن تصبر على أذى الناس ولا تتعامل معهم بأسلوبهم الرخيص بل عليك أن تقول كما كان يقول نبيك العظيم (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) .

واعلم أن الله معك لا يتخلى عنك أبداً وصدق الله العظيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] . ويقول أيضا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢] .

هذا هو منطق الإيمان الذى يصنع المعجزات فى النفس الإنسانية إذا

استقامت على أمر الله وتعاملت مع الإيمان بالثقة والاعتزاز وعدم التخلى عن قيمه وآدابه تحت أى مسمى . . هذا والله يقول الحق ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . . إن صحة العقيدة تؤدى إلى صحوة الإرادة وقوة العزيمة . ويرتفع الإنسان فوق سفاسف الأمور ويطلب رضاء الله بحسن العمل وعلو الهمة . فتجد يده نظيفة لا يقبل الرشوة . ولسانه عف فلا يغتاب أحداً وعقله نظيف فلا يفكر إلا فى الخير . وعينه طاهرة فلا يحقد ولا يحسد . وهكذا المؤمن دائماً يعيش فى طهارة ظاهرية وباطنية . فيكون بين الناس كالوردة الزاهية - لونها يسر العين . ورائحتها طيبة . وملمسها ناعم . وصدق الله العظيم ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٦] .

الفصل الثالث

القضايا

١ - بدأت الإنسانية عهدها على ظهر الأرض منذ أن هبط آدم عليه السلام وتلقى البيان الأول من ربه ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه : ١٢٣ ، ١٢٤] . ولقد هبط أبليس إلى الأرض مع آدم ، وأبليس أعلن الحرب على آدم منذ اللحظة الأولى وقال الشيطان فى ذلك ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦ ، ١٧] . وهو القائل سبحانه ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ [الكهف : ٥٠] . وحذرنا ربنا من الشيطان بقوله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً ﴾ [فاطر : ٦] . والله تبارك وتعالى يقول لنا ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . ويقول أيضا بأن الشيطان يعد الإنسان بوعود كاذبة ويمنيه بالباطل وقد حدد القرآن ذلك فقال ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ [النساء : ١١٩ ، ١٢٠] .

هذا الشيطان الملعون يتبرأ من الإنسان بعد أن يضله ويبتعد عنه وكما

يقولون الشيطان يعظ . . فماذا يقول الشيطان . . يبين ذلك ربنا بقوله ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي من قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. ويقول ربنا كذلك ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦، ١٧]. ولقد حاول الشيطان على مر السنين وكر الأعوام أن يغوى الإنسان وأن يفسد عليه حياته وأن يدفعه إلى أن يتمرد على الله . . لذلك علم الإنسان السحر الذى هو عمل الشيطان الأساسى لأن الشياطين كفروا وهم يعلمون الناس السحر كما قال ربنا فى سورة البقرة آية ١٠٢ . . والحق سبحانه وتعالى أخبرنا أن السحر دجل وشعوذة والناس يعتقدون أنه حقيقة وهذا وهم وخطأ فقد قال ربنا عن سحرة آل فرعون الذين تقابلوا مع موسى فقال الحق له ﴿ لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: ٦٨، ٦٩]. ذلك لأن موسى عندما ألقى السحرة عصيهم (خيل إليه أنها تسعى) فالحق أكد على أن هذا فعل السحرة لأن السحر علم يتعلمه الإنسان يقوم على المهارة وخفة اليد والفهلوة . لذلك فإن المؤمن ثقته فى الله أكبر من السحر والسحرة لأن السحرة لن يضروا أحدا من الناس بفعلهم . . لأنه لايقع فى ملك الله إلا ما يشاء وعمل السحر جريمة لا يقرها شرع ولا خلق . . وإنما يؤمن بها أصحاب النفوس المريضة والإيمان الضعيف . . وقد علمنا ربنا أن نعتمد عليه ونثق به . . وأن يكون عندنا ثقة

فى أنفسنا لا نضعف أمام الباطل . . ولا نلين لأصحاب النفوس المريضة . والله سبحانه هو القائل عن السحرة ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢] . والإنسان الساحر إنسان مريض النفس ليس فى قلبه إيمان . . يسلب أموال الناس بالباطل ويعتدى على شرف النساء بل ويعتدى على الرجال . . لأنهم يفعلون ما يرضى العفاريت التى يزعمون أنهم يتحدثون إليهم ولهذا قال الله ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ [الجن: ٦] . وعلى هذا كانت قضية السحر وتعلمه من أولى القضايا التى علمها الشيطان لأوليائه .

وبدأ الناس بعد ذلك يوسعون دائرة السحر فبدءوا فى . . فتح الكوتشينة . قراءة الفنجال . . أنت والنجوم . . تبييت الأثر . . ربط الزوج عن زوجته . حجاب الحب والكره . . . الخ . . غير ذلك من الأمور التى تفشت فى المجتمع وأصبح لها مدارس ورواد وأساتذة وطلاب حتى ظهر ما سماه البعض بتحضير الأرواح وفتح المندل وغير ذلك .

إن المؤمن قوى الإيمان يعترف بأن هذه كلها أشياء باطلة لأن الغيب لا يعلمه إلا الله . . أما ضعيف الإيمان فتراه يجرى وراء هذه الأباطيل ويلهث بل يحدث الناس أن الجن قال له كذا وأن العفريت حدثه بكذا وأن المارد أرشده إلى كذا بل يزعم أحياناً أن العفريت أمره أن يدق الوشم على صدره أو يرسم عين الحسود على ذراعه وتجده فخوراً بهذا ويتباهى بالوشم وما يرسمه على صدره أو يدقه على ذراعه وكثير من الشباب بدأ يميل إلى هذا الأمر ونرى الواحد منهم يفتخر بأن امرأة أرشدته إلى ذلك وما تفعله بعض النساء كذلك لهذا نقول للشباب اعلم ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ

فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]. ويقول كذلك ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤].

ولقد ذهبت امرأة إلى عبد الله بن مسعود وقالت زعم الناس أنك تلعن الواشمة والمستوشمة وتروى حديثاً عن رسول الله ﷺ (لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) . . قال ابن مسعود نعم أنا راوى هذا الحديث . . قالت المرأة . . لقد قرأت ما بين لوحى المصحف فما وجدته . . قال لها لئن كنت قرأته فقد وجدته . . أما قرأت قول الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]. قالت بلى . . قال ابن مسعود فإن هذه الأمور قد نهى عنها رسول الله ﷺ . . إذا لا يجوز لأى إنسان أن يرسم وشما على صدره وعلى خده وعلى يده لأنه مع كونه حراماً فقد ثبت أن هذه الأشياء التى تتكون منها الألوان (الأصباغ) عندما تختلط بالدم تكون سبباً فى نشر بعض الأمراض الخبيثة فى جسم الإنسان وما يحرم على الكف والصدر يحرم على الخد كما أن الرسول لعن الواصلة . . وهى المرأة التى تصل شعرها بشعر الغير أو تلبس الباروكة وتفلج أسنانها للحسن وترقق حواجبها وكل ذلك بايحاء من الشيطان حتى وصل الأمر إلى رموش العين الصناعية لذلك علينا أن نحذر فعل هذه الأشياء وأن نسير فى ركب الشيطان وأن نكون من جنده وقد جاء التنبيه من الله بعدم مخالفة أوامر الرسول فى قوله ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]. وقد قال

الحق سبحانه ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله ﴾ [النساء : ٨٠] . إذا فإن أول قضية انحرف بها الناس هى السحر ومحاولة معرفة الغيب وتغيير خلق الله لأن الشيطان قال ذلك لربه يوم طرده ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله﴾ [النساء : ١١٩]

ولن يفلح قوم علقوا الأحجبة فى رقابهم أو تحت أبطهم لأن الرسول ﷺ يقول (من علق تميمة فلا أتم الله له) ويقول (من ذهب إلى كاهن أو عراف فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) .

إن قوة الإيمان هى الحصن الحصين لحماية الإنسان من فعل أى دجال مهما استعان بشياطين الجن لأن الله قال للشيطان ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر : ٤٢] .

ويقول الشيطان وهو يجر أذيال الخيبة ويقول لربه ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص : ٨٢ ، ٨٣] .

إن كيد الشيطان ضعيف والإنسان بإيمانه قوى . . والقوى يغلب الضعيف فالإنسان القوى دائما يعتمد على الله ويثق بالله ولا يخاف من أحد لأنه مع القوى القادر الذى إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون .

٢ - إن العالم اليوم تصارعت فيه القوى والمذاهب وأصبحت فيه القوى المادية هى الأساس . . ولقد تفرق المسلمون شيعاً وأحزاباً . . بعد أن كانوا أمة واحدة متماسكة ولكن دب إليهم داء الأمم من قبلهم الذى يقول فيه الرسول ﷺ (دب إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء . . والبغضاء هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) رواه البزار بإسناد جيد ومن المعلوم أن القرآن الكريم يعتبر العداوة والبغضاء بين الناس أمر خطير جداً عقوبته فى

الدنيا قبل الآخرة فيقول الحق سبحانه ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظاً مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة : ١٤] .

ذلك لأن جو البغضاء والعداوة والخصومة تجده مجتمعاً عفناً . . تروج فيه كل بضائع الشيطان من سوء الظن والتجسس وقول الزور إلى أن بنتهى ذلك بأن يقتل الأخ أخاه كما يقتل الولد والده لذلك حذر الرسول ﷺ من هذا المجتمع فقال عليه الصلاة والسلام (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) رواه البخارى والرسول ﷺ يقول أيضاً (ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رءوسهم شبراً . . رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وأخوان متصادمان) أى متخاصمان متقاطعان . رواه ابن ماجه .

ولما تمادى المسلمون فى الخلاف وتأصلت العداوة فى نفوسهم لبعضهم ابتلاهم الله بالاستعمار الذى مزق الوطن العربى إلى دويلات وفى غضون ذلك ضاعت الأندلس بعد أن كانت حاضرة العالم الإسلامى وأطلقوا عليها (الفردوس المفقود) وهجمت البرتغال على ما قدرت عليه من دول الإسلام ونحن هنا نذكر أنجلترا والتى مزقت المجتمع المصرى وفرنسا التى دخلت إلى سوريا وما حولها وهولندا كذلك استخفوا بالعالم العربى الإسلامى حتى إن بعض قادة الحرب العالمية الأولى دخل دمشق وذهب إلى قبر صلاح الدين ووقف وقال قولته المشهورة (الآن انتهت الحروب ياصلاح وها نحن عدنا) ومع كون المسلمين كانوا فى صف الإنجليز والفرنسيين محاربين بالرجال ومقدمين كل عون ومدد لكن الذين أشعلوا الحرب كان ضمن أهدافهم أن

يستولوا على بلاد المسلمين فى الشرق وفى حوض البحر . . ولا يمكن لنا أبداً أن ننسى أن لورداً فى مجلس اللوردات الانجليزى قال قولته المشهورة (لا يمكن للمسلمين أبداً أن يتحولوا عن دينهم مادام القرآن بين أظهرهم) وكانت هذه قولة حاقد لأن قوى الشر تكتلت ضد القرآن وظهر فى المجتمع الإسلامى (المستشرقون) الذين بدءوا يشوهون التاريخ الإسلامى ويلصقون التهم برسول الله ﷺ ويحقرون الصحابة ورموز الإسلام وينسبون كثيراً من الصغائر إليهم وهؤلاء أصبحوا فى المجتمع الإسلامى كالجراد المنتشر فى أنحاء الأرض واستطاعوا أن يتسللوا إلى التعليم من الحضانة إلى مراكز الأستاذية فى الجامعة وضعاف الإيمان دقوا لهم الطبول وأذاعوا بين الناس عبقرياتهم والمستشرقون كانت لهم صلة وثيقة بحكومة بلادهم لأن هؤلاء يقومون بحرب باردة لذلك كانت حكوماتهم تمدهم بالمال وبالعون الأدبى فأنشؤا مدارس لتعليم اللغات وهذا أمر جميل لا شىء فيه لكن الغرض من هذه المدارس إضعاف اللسان حتى يفقد لغته وهى لغة القرآن وهنا ينصرف الناس عن القرآن بعد القضاء على اللغة العربية وبجوار ذلك أنشأوا المستشفيات التى تقدم العلاج وهذا أمر حسن لكنه مع العلاج كلمات عن تشويه الدين الإسلامى وأنه سبب تأخر المسلمين وأن العبادات فيه تعطل الناس عن الحركة ثم أنشأوا الملاجئ للأيتام والعجزة وهذا شىء جميل إلا أن الهوية الإسلامية كانت تمحى من ذاكرة هؤلاء ثم أنشأوا الجمعيات الخيرية وفى إبان ذلك أدخلوا الماسونية . . والروتارى وغير ذلك من الجمعيات ذات الهدف السرى غير المعلن وكما يقول ربنا ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذَابُ﴾ [الحديد : ١٣] .

وإبان هذه الأمور استطاع الاستعمار بكل وسائله أن ينشر بيننا عادات وتقاليد سيئة للغاية من ذلك :

أ - تعاطى الدخان . . سواء كان سيجارة أو شيشة أو جوزة أو مضغ أو نشوق . . لأن الاستعمار كان ينوع . . وهم ينشرونه بيننا يعلنون الحرب عليه فى بلادهم . . لماذا ؟ لأنه مضر بالصحة . . متلف للمال . . وقد كان الأولى بالمسلمين أن يعلنوا هم الحرب عليه لأن الحفاظ على الصحة أمر مطلوب حث عليه القرآن فى قول الله سبحانه ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ويقول الله سبحانه ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وشيطان الإنس هو الذى يغرينا ويزين لنا الباطل لأنهم يجلسون معنا . ولقد عرفنا أن شيطان الجن له تلاميذ وله أعوان . . من هنا بدأت مدارس الاستشراق تعلمنا ما يضر بالصحة ويتلف المال والدخان خبث من الخبائث لأن رائحته فى الفم كريهة ويترك علامات على الأسنان والأصابع ويتلف رئة الإنسان ويفسد البيئة من حولنا ويضر بمن يجالسون المدخنين حيث أطلقوا على البيئة بأنها مليئة (بالتدخين السلبى) ومن هنا قال الله تعالى عن النبى محمد ﷺ والله يوجه الوصية إلى أهل الكتاب السابقين ليؤمنوا به ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. والمسلم مطالب بأن يسعى فى مناكب الأرض يبحث عن الرزق ويكتسب المال من خلال سعيه المشكور . . والمال الذى يكسبه عليه أن

يعتدل فى صرفه . . بحيث ينفق منه على نفسه وزوجته وأولاده وهو يعتدل فى إنفاق الأمور ولا يبذر لأن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٢٧]. والإنسان وهو يقوم بالإنفاق على نفسه عليه كذلك أن يعتدل بحيث عند طعامه وشرابه لا يسرف لأن الإسراف مهلكة ومضيعة للمال فى غير موضعه وقد نبهنا الرسول ﷺ إلى أن المعدة بيت الداء . . لذلك لا يملؤها الإنسان بالطعام والشراب فقد جاء فى الحديث (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه . . فإن كان لابد فاعلاً . . فثلث لطعامه . . وثلث لشرابه وثلث لنفسه) وعلى هذا الأساس نرى أن القرآن وضع لنا قاعدة تحفظ علينا صحتنا وتحفظ لنا أموالنا فيقول الحق سبحانه ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. وإذا كنا نسمع الآن أنه فى بلاد الغرب وضعت قوانين تمنع الفتيان عن شراء السجائر وتضع العقاب للتاجر الذى يبيع وتكتب على العلبة (الدخان مضر بالصحة وعلى مسئولية المدخنين) إذا كان هو مضر بالصحة فإننا نقول لشبابنا إن الشاب الذى يقترب منك ويقول لك . تعالى نخمس . . يعنى خمسة يشربوا سيجارة والشاب الذى يمسك السيجارة فى يده أول الأمر مدفوع لذلك لا تستجيب له ولا تظن أن إشعال السيجارة وهى فى فمك علامة الرجولة . . لا . . وألف مرة لا . . إنما يفرح بها من عنده نقص فى شخصيته ويحاول أن يكمل النقص . . لذلك نقول له . بدل السيجارة اشترى جريدة أو مجلة أو كتاباً تنتفع بما فيه من علم لأن العلم يرفع قدرك ويعلى منزلتك . . وإن كان ثمن السيجارة زائداً عليك ساهم به فى أى عمل اجتماعى أو مشروع خيرى يكن لك بذلك أجر عظيم وذكر حسن بين الناس وسمعة طيبة تعلى من شأنك بين الآخرين . .

ب - الإسلام الذى نؤمن به يحترم العادات والتقاليد والمجتمع الإسلامى له تقاليد عرفت تقاليد اجتماعية وآداب بيئية فيها الذوق والأدب والاحترام ومراعاة شعور الآخرين . . ونحن نؤمن بأن الإسلام لم يحدد لنا زيا معيناً وإنما نبهنا إلى أن نلبس ما يوارى السوءة حيث قال ربنا ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦] . فالملابس بألوانها وهيئاتها لم يحددها الإسلام وإنما لعبت البيئة الاجتماعية والعرف العام والتقاليد دوراً رئيسياً فى ذلك فأصبح للرجل زى بألوان معينة وللنساء زى بألوان ونقوش معينة لكن أعوان الاستعمار الذين يقومون بعمل قواعد وأسس لهدم الكيان الاجتماعى أغروا بعض الشباب بأن يلبسوا ملابس النساء وأغروا بعض الفتيات بارتداء ملابس الرجال لذلك أصبح الأمر مستهجناً وبدأ بعض كبار السن ينظرون إلى هذا النوع من التعامل على أنه هدم للعرف العام والتقاليد الاجتماعية التى سار عليها الآباء والأجداد .

ومن المعلوم أن الإسلام من خلال نبيه ﷺ ومبلغه حرم على الذكور لبس الحرير واستعمال الذهب لأن هذين النوعين قال عنهما رسول الله ﷺ (حرام على ذكور أمتى . . حلال لإناثها) فبينما نرى الشاب يلبس القمصان المشجرة من أقمشة النساء نراه يعلق سلسلة ذهبية فى رقبته أو أسورة ذهبية فى معصمه أو خاتماً ذهبياً فى أصبعه وإذا سألته لم تلبس هذه الأشياء يقول لك علشان فلوسى لو ضاعت أبيع الذهب وأصرف منه . . وهذه حجة واهية فإن قلت لهذا زى النساء والرسول ﷺ لعن المتشبهين من الرجال بالنساء يقول لك . أنا حر . . نقول له يا أخى إن المجتمع الذى منحك الحرية وضع لها ضوابط . .

ومنها أن تراعى تقاليد المجتمع . . وأن تحافظ على مقومات شخصيتك وأن تبتعد عن كل شىء يسىء إليك لأن الناس يقولون عنك (خنثى) وإن غضبت أنت منهم بسبب هذه الكلمة . . فسوف نقول لك كلمتك أنت التى قلتها . كل واحد حر هى التى جلبت لك هذا . . لكن الإسلام يقول لك . . لا . لا تجلب لنفسك قولة السوء ولا تضع نفسك موضع الشبهة وكن رجلاً بمعنى الكلمة . . والرجولة ليست بالسن وإنما هى مقومات وقيم وأخلاق . . إن الإسلام نبه على أن المرأة هى التى تتحلى بالذهب والحرير فقال الحق سبحانه فى ذلك ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف : ١٨] . إن الذين يملكون المال ويقول أحدهم أنا وجدت أبى يلبس ذلك نقول له ما قاله الرسول ﷺ والأنبياء من قبله ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الزخرف : ٢٤] . لذلك ننبه وبرفق شبابنا ونقول لهم احذروا التقليد الأعمى . . وإن أردتم أن تقلدوا ففى الخير وما يتفق ومفهوم القيم الإسلامية والعرف الاجتماعى فإن فى ذلك خيراً لكم يا شباب لو كنتم تعلمون .

ويدخل فى باب اللبس والملابس الأحذية فهناك بعض الشباب يلبسون الحذاء الذى له (كعب كباية) كما أن الفتاة تلبس الحذاء ذا الكعب العالى . وهذا شىء أولاً مضر بالصحة ثانياً يجعل الجسم غير متماسك فيهتز ويتمايل ويكون ذلك مثار شك عند الرائى . . وتطلع من أصحاب النفوس المريضة وتحريك لغرائز بعض الناس لهذا علينا أن نعلم أن هذه الأحذية صدرت إلينا فى غفلة من الزمن فعلى الفتى أن يتنبه حتى لا تحاط به الظنون ومن وضع نفسه موضع الشك والريبة لا يلومن إلا نفسه وعلى الفتاة أن تدرك أن الكعب العالى يصيبها بضرر بالغ تعرف نتيجة ذلك بعد الكبر . .

ثم لا ننسى المساحيق والأصباغ التى يستعملها الشباب من الجنسين وبكثرة ونقول لهم بأن هذه الكريمات والأصباغ بها مواد كيماوية وهى لها تأثير بالغ على الجلد وما يتشربه ويدخل إلى الجسم قد يختلط بالدم وهنا تكون الطامة الكبرى حيث التلوث الذى أدى إلى العديد من الأمراض التى لا عهد للإنسانية بها . . ويظهر أثر الكريمات على وجه المرأة بما يصيبها من تجاعيد مبكرة كانت هى فى غنى عنها لولا حب التقليد الأعمى . . إن الإسلام وضح الأمور وأصبح الأمر واضحاً جلياً إنه يطالب كل فرد أن يحرص على ما ينفعه وأن يحافظ على تقاليد المجتمع . . إن المجتمع الإسلامى له تقاليد وآداب وعادات أنشأها الإسلام فى المجتمع المسلم لتكون فى خدمة عقيدته وشعائره ومفاهيمه ومشاعره وأخلاقه وفضائله إن التمسك بالتقاليد الإسلامية ليس عبثاً ولا تحكماً ولكنه مبنى على نظرة المجتمع إلى كل من الرجل والمرأة فى الملبس والتزين وإننا ننادى ونقول إن علينا أن نتخير الأزياء التى تتناسب مع مجتمعنا كما أنها لا تكون سبباً فى الإثارة فعلينا أن نراعى البساطة موالاعتدال وأن نبتعد عن الإسراف والاختيال فذلك خير للفرد والمجتمع .

ونهمس فى أذن كل شاب إن ما قلناه لك يحقق لك شخصية متميزة الملامح واضحة التقاسيم وتمسك بك أن تذوب فى تقاليد غيرك أو أن تتقمص شخصية لا تقرها بيئتك أو تغير عادات ألفها مجتمعك وتقتبس عادات وتقاليد لا تصلح لبيئتك وتتسلخ أنت من ذاتيتك وإلى هذا الأمر أشار الرسول ﷺ وحذر منه فقال (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا . . اليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال : . . فمن ؟) حديث متفق عليه . . كذلك ظهر (الكوافير) وتذهب الفتاة

إليه ليجعل شعرها كأسنمة البخت وهى بذلك تحرم نفسها من رائحة الجنة . . كذلك ذهاب الفتاة إلى الترزى وتترك المرأة التى تخيط لها الملابس . . وهذا أمر يخل بالآداب العامة . . من هنا فإن الإسلام يحافظ على أنوثة الفتاة ويعترف بما تحتاج فلا يصادر أمرها ولا يكبت حريتها ولكنه يحول بينها وبين الذى يؤدى إلى ابتذالها وامتهان أنوثتها ويحميها من ذئاب البشر التى تتخطفها لتنهشها نهشاً وتستمتع بها لحما ثم ترميها عظماً لذلك حرم عليها كل ما يجافى أنوثتها فقد نهاها أن تلبس لبسة الرجل وتتشبه به فى زيه ومشيته لهذا لعن الرسول ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال . . والإسلام وهو يحمى أنوثتها يرعى ضعفها ويجعلها دائماً فى رعاية رجل لتكون مكفولة النفقات مكفية الحاجات حتى تظل ينبوعاً لعواطف الحنان والرقة والجمال ومن هنا أحل لها لبس الحرير الخالص والتحلى بالذهب فقد روى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ (إن هذين الذهب والحرير - حرام على ذكور أمتى حل لإناثها) كما نهى الفتاة والمرأة عن الخلوة بأى رجل صوناً لنفسها وحفاظاً على سمعتها حتى لا تلوكها ألسنة الزور والبهتان ففى الحديث المتفق عليه عن رسول الله (لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم) والإسلام بذلك يحافظ على خلقها وحبائها ويحرص على سمعتها وكرامتها ويصون عفافها من خواطر السوء وألسنة الشر .

إننا ونحن نؤكد على ذلك نؤمن بأن الإسلام قدر أنوثة المرأة واعتبرها عنصراً مكملاً للرجل . . ولكنه حذر بأنه على المرأة أن تحافظ على أنوثتها . وأن من مصلحة المجتمع أن يحافظ على الفتاة ويسترعيها لتكون عضواً نافعاً فى المجتمع فالرسول ﷺ يقول (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله) رواه الترمذى . .

إن الإسلام قرر على لسان رسول الله الأمين أن الجنة جزاء لكل أب يحسن صحبة بناته ويقوم على تربيتهن وتأديبهن وجعل الرسول ﷺ منزلة الأب الذى يصون بناته عن الابتذال ويغرس فيهن الأدب والحياء منزلة هذا الأب بجوار الرسول ﷺ فى دار النعيم . . ففى الحديث الذى رواه مسلم عن أنس رضى الله عنه قال ﷺ : (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه) وفى حديث رواه ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال (ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه - أو صحبهما - إلا أدخلتاه الجنة) لذلك نقول لكل أب حافظ على بناتك واجعل دائماً عينك عليهن ولا تجعل الواحدة منهن تذهب إلى الكوافير تحت أى مسمى أو الترزى فإن خطر ذلك جسيم . . ونقول للشباب بدأت الآن بعض النساء يمارسن مهنة الحلاقة للرجال فاحذروا ذلك وابتعدوا حتى لا تتورطوا .

٣ - الصداقة : من أهم القيم الإنسانية الاجتماعية (الصحبة) لأن الناس يعيشون فى مجتمع واحد ويجمعهم شعور أبناء الأسرة الواحدة وقد ذكر القرآن الصحبة وسماها الإخاء فقال سبحانه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات : ١٠] . وقد امتن الله على رسوله الكريم بقوله ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال : ٦٢ ، ٦٣] . والصحبة قال عنها الشاعر :

أخاك أخاك إن من لا أخ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

أى أن الذى لا صاحب له كرجل ينزل إلى المعركة بدون سلاح . . وشبابنا اليوم يسمى الأصدقاء (شلة) والصديق دائماً يؤثر فى صديقه لذلك كان من

تعليمات الإسلام أن الإنسان لا يصاحب إلا مؤمناً . . وصادقاً . . وأميناً . ومحباً . . لأن مثل هذا الصديق تذكرك بالله رؤيته . . ويعينك على أداء الواجب . . يزينك إن زارك فى المنزل ويشرفك إن مشى معك فى الشارع لأنه يتسم بالحياء . . ويتعامل بالأدب مع الغير ويحترم الآخرين . . ومثل هذا تجده معك فى المسرة ويقف معك فى المضرة لا يتخلى عنك عند الشدائد . يحافظ على سرك وإن احتجت إليه لا يفضح أمرك . . يقتسم معك ما معه ولا يبخل عليك يعينك على أداء الواجبات وينبهك على أداء العبادات ويواليك بالنصيحة . . إن رأى فيك عيباً سترك وينهاك بحكمة . . مثل هذا الصديق شبهه رسول الله ﷺ بالمسك إذا حملته فاح منك ريح طيب وإن اقتربت منه شممت ريحاً طيباً . . ولا ينهاك رسول الله ﷺ أن تصاحب مثل هذا . . أما الصاحب السوء فهو كدخان النار يعمى العين ويضر الأنف . لذلك حذرك رسول الله ﷺ من أن تصاحب مثل هذا . . فالنبى ﷺ يقول مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شىء أصابك من ريحه . ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير أن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه) رواه أبو داود .

هذه الصداقة المبنية على الإيمان تريح الإنسان فى الدنيا وتسعده وتريحة فى الآخرة لقول الله تعالى ﴿الأَخلاَّءُ يَوْمَئذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ المُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] . أما إذا قلبت الصداقة إلى شلة والشلة بمعناها العام هى العصبة وتتكون هذه الشلة من أشخاص ساقطين فى الرذيلة بعيدين عن ميدان الفضيلة والسبب فى ذلك هو غياب دور الأسرة . . وعدم رقابة الأب . هذه الشلة تجتمع حول شاشة التلفزيون يشاهدون الفيديو خاصة مدرسة

المشاغبين . . العيال كبرت . . شاهد ما شافش حاجة . . إلى غير ذلك من أشرطة الفيديو علاوة على الفيديوكليب وما يدور فى فلكه . . وأفلام السينما وما تحمله من تهتك وتبذل واستهتار بالقيم فالأفلام الساقطة والجلسة خاصة والشباب فى سن المراهقة ويقوم العارض لهذه الأفلام بإباحة التدخين وقد يستعملون المخدرات إما فى السجائر المحشوة أو على حجر الشيشة أو كنكة القهوة لكل هذه العوامل يسقط الشباب وهم فى سن المراهقة فى بؤر الفساد وهنا تمتد إليهم الأيدى المجرمة لتدفع بهذا الشباب بعد أن عودته على تعاطى المخدرات فلعب القمار وإذا ما أفلس الشاب أصبح ضحية سهلة بين أنياب عصابات الإجرام فيدفعون به إلى ارتكاب الزنا ثم يدربونه على السرقة وخطف شنط السيدات ومد الأيدى إلى السلاسل الذهبية فى رقاب البنات والنساء . . ويؤدى ذلك إلى الخطف والاغتصاب والقتل . . وإمعاناً فى ضياع الشباب كونوا شلة أطلقوا عليها (عبدة النار) ليجد الشاب المستهتر مجالاً أوسع وشلة أكثر عدداً . . بل هناك (البهائية) وهى مذهب شاذ غير معترف به من المسلمين والقاديانية وهى كذلك مثل هذا إهدار لصحة الشباب وإفلاس له وكشف برقع الحياء من على وجهه ليصبح الشاب (جرثومة فى مجتمعه بل أصبح بعبعاً يخاف منه الأقارب لأنه لا يعرف الحلال ولا الحرام فالخمر أتلفت عقله والمخدرات ضيعت نخوته والزنا سرى فى جسده) . لذلك فهو يقتنص أى امرأة . . أمه . . أخته . . عمته . . إلى غير ذلك من المحارم لأنه أصبح لا يفرق بين حلال وحرام ولا يقيم للشرف ميزاناً . . لهذا حكى لنا القرآن أن مثل هذا الشخص سوف يعض على أصابع الندم ويندم ولكن بعد فوات الأوان . . لأنه أصبح جرثومة الكل يخشى من مصافحته أو

الجلوس معه لهذا نقرأ فى سورة الفرقان ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ [الفرقان: ٢٧-٣٠]. أرأيت هذا المنظر الإنسان يندم ويعض على أصابعه من الندم لأنه سار فى تيار الصديق الفاسد وانغمس مع الشلة المنحطة التى ارتكبت الإثم والبهتان وأتت من الفواحش ما ظهر منها وما بطن والسبب أنهم هجروا القرآن لم يقرؤه ولم يتعلموا من هديه ويوم القيامة ترى العداء والخلاف بين أصدقاء السوء بسبب ماكانوا فيه فى الدنيا وكل واحد يرمى بتهمته على الآخر ولهذا يقول القرآن ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

فإذا كانت الصداقة فى الدنيا على الشر فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة كما قال القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه السلام لقومه ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥] فهل لشبابنا أن يتعظ ويعلم أن الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذى أودع فينا العقل وبعث إلينا الأنبياء هداة مرشدين وختمهم بسيدنا محمد النبى المصطفى الأمين وجعل القرآن حجة علينا لأنه أمرنا بتلاوته والسير على ما فيه وأن نعبد الله كما أمر وأن نبتعد عن كل ما يخالف الدين والقيم والمبادئ وأن نحترم العرف والتقاليد الاجتماعية السليمة وأن نكون أمناء على أنفسنا لا نهدر كرامتنا ولا نجرى وراء لذة تعقبها ندامة فإن العامل من أخذ العبرة بما يجرى من حوله والله تعالى يقول ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الجاهلينَ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ منَ الشَّيْطَان نَزْغٌ فَاسْتَعذْ بالله إِنَّهُ سَميعٌ عَليمٌ إِنَّ الَّذينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائفٌ مِّنَ الشَّيْطَان تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩-٢٠٢] .

هذا حديث القرآن إليكم ياشباب فتنبهوا وخذوا حذركم وصاحبوا الأوفياء الشرفاء واعلموا أن الفقر فقر أخلاق لا فقر جيوب فلا تميلوا إلى فمصاحبة الأغنياء طمعاً فى أموالهم فإن المال ظل زائل وعرض حائل . وعارية مستردة والغنى قد يغريك بماله ويدفع بك إلى الشر ليتخذك تلميذاً فى مدرسته تروج له بضاعته ثم تندم فى المستقبل ولا ينفع الندم واحذر أن تميل مع الهوى . . هوى نفسك . . وهى الشلة الفاسدة وهى الشيطان الرجيم . فقديماً قال الشاعر :

إن الهوى لهو الهوان بعينه فإذا هويت فقد لقيت هوانا

فهل نعتبر ؟ ونأخذ من الأحداث عبرة . . وعلينا أن نؤمن ونعرف بأن باب الله مفتوح لا يرد السائل أبدا . . فإذا كان الشاب قد أخطأ فليبادر بالتوبة الصادقة وهى . . أن تندم يوما على ما فات . . وأن يكون عندك عزيمة قوية بأنك لن تعود إلى الشلة الفاسدة وعصابة الإجرام ولن تعود إلى ذلك أبداً . فالله يفرح بتوبتك وإذا صدقت نيتك بدل الله السيئات التى فعلتها إلى حسنات وكان الله غفوراً رحيماً وصدق الله العظيم ﴿وَالَّذينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ الله إِلاَّ بالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القيَامَة وَيَخْلُدْ فيه مُهَاناً إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَملَ عَمَلاً صَالحاً فَأُوْلَئكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتهمْ حَسَنَات وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحيماً ﴾ [الفرقان : ٦٨-٧٠]

الفصل الرابع

اللهو والموسيقى

من الأمور التى يتعرض لها شبابنا كثيراً كثيراً بالسؤال . . هل الإسلام يجيز اللهو ويبيح الموسيقى ؟ وكنا دائماً نحاورهم فى هذا الموضوع ونقول لهم :-

١ - **اللهو** : مما لا يختلف فيه الناس أن الحياة رحلة شاقة يصادف فيها الإنسان الكثير من المتاعب ولقد قال الله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد : ٤] . ومن مفهومنا لهذه الآية يتضح أنه ليس على ظهر الأرض أى شخص يسلم من تجرع لون من ألوان المتاعب حتى ولو ولد فى أسرة غنية جداً . . لهذا كان الناس دائماً يميلون إلى المرح واللهو يخففون بذلك عن أنفسهم رحلة الحياة والفكاهة دائماً تجعل الإنسان يضحك ويطارد الحزن من قلبه والكآبة من حياته . . وكان أهل التزمت ينظرون إلى الذين يضحكون ويتهمونهم بالبله والغفلة لأنه فى زعم هؤلاء المتزمتين أن المجتمع الإسلامى لا مجال فيه لمن يلهو أو يفرح ولا يجوز مطلقاً فى عرفهم للشخص أن يمرح ويلعب ويبدو الواحد من هؤلاء فى المجتمع وهو عابس الوجه مقطب الجبين وإن جلست إليه تحدثه تجد أنه إنسان يائس ومصاب بالعقد النفسية . . لكنه للأسف يرد ذلك السلوك الذى يريد أن يفرضه على المجتمع من حوله إلى الدين والدين منه براء . . لأن الدين الإسلامى يتسم بالسماحة ويتعامل مع الناس على أنهم بشر لهذا كان رسول الله ﷺ يرفع يديه إلى السماء دائماً

ويقول (اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن) . . والرسول عليه الصلاة والسلام كان يمازح أصحابه فقد ورد فى الحديث الذى أخرجه الترمذى أن امرأة عجوزا جاءت إليه تقول له : يا رسول الله ادع الله لى أن يدخلنى الجنة فقال لها يا أم فلان إن الجنة لن يدخلها عجوز وانزعجت المرأة وولت وهى تبكى ظناً منها أنها لن تدخل الجنة فلما رأى ذلك منها نادى عليها وبين لها غرضه إن العجوز لن تدخل الجنة عجوزاً بل إن الله سبحانه وتعالى ينشئها خلقاً آخر فتدخلها شابة بكراً وتلا عليها قول الله تعالى ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً﴾ [الواقعة : ٣٥-٣٧] . إن الذين يتزمتون لا يفهمون الإسلام لأنه دين يتعامل مع الناس على أرض الواقع والفطرة فى أنفسهم تحب هذا النوع من المرح والضحك ولا شك أن اللهو البرئ يمنح الإنسان قدرة على مواصلة السير فى رحلة الحياة ولهذا يقول الإمام على كرم الله وجهه (روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمى) وقال أبو الدرداء رضي الله عنه (إنى لأستجم نفسى بالشىء من الباطل ليكون أعون لها على الحق) والشىء الباطل هو اللهو البرىء . . ولقد حدث أن سيدنا حنظلة الأسدى . . وهو صحابى جليل ومن كتاب رسول الله ﷺ يحدث فيقول . . (لقينى أبوبكر رضي الله عنه وقال لى كيف أنت ياحنظلة ؟ قلت . . نافق حنظلة !!! قال أبو بكر : سبحان الله ما تقول ؟ . . قلت . . نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا رأى عين . . فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ . عافسنا (أى لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً . قال أبو بكر فو الله إنا لنلقى مثل هذا . قال حنظلة ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله . فقال

رسول الله ﷺ : "وماذاك ؟" . قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً . قال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم . . ولكن يا حنظلة . . ساعة وساعة . . وكرر هذه الكلمة ثلاث مرات) صحيح مسلم .

ولقد كانت حياة رسول الله ﷺ مثلاً رائعاً للحياة الإنسانية المتكاملة فكان إذا صلى يطيل الخشوع والبكاء وكان إذا نظر فى قضية لأحد من الناس لا تأخذه فى الحق لومة لائم أما فى الحياة العادية فكان بشراً يحب الطيبات من الطعام ويذهب إلى السوق ويحمل متاعه يداعب هذا ويمزح مع ذاك يبش فى وجوه الناس ويبتسم ويقول لأحد أصحابه (تبسمك فى وجه أخيك صدقة) واقرأ كتب التاريخ . . فسوف تجد . . أنه ﷺ كان إذا دخل إلى بيته بساماً ضحاكاً يشيل هذا ويحط ذاك يقم بيته . . ويحلب شاته . . ويرقع ثوبه . . ويخصف نعله . . ويكون فى خدمة أهله . . وكان أحياناً يسابق زوجته عائشة مباسطة لها وتطييباً لنفسها وتعليماً لأصحابه الطيبين الطاهرين الذين كانوا يمزحون ويضحكون ويلعبون ويتندرون معرفة منهم بحظ النفس وتلبية لنداء الفطرة يقول زيد بن ثابت رضى الله عنه وقد سأله أحد الصحابة أن يحدثهم عن حال رسول الله ﷺ فقال (كنت جاره فكان إذا نزل عليه الوحى بعث إلى فكتبته له فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا . . وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا قال فكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ) رواه الطبرانى . . وكان ﷺ يحب إشاعة السرور والبهجة فى حياة

الناس وخصوصاً فى المناسبات كالعرس والعيد فلقد أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم فى مسجده عليه الصلاة والسلام فى أحد أيام الأعياد وأعطى رخصة للسيدة عائشة أن تنظر إليهم وهم يلعبون ويرقصون . . ولقد كان فى عصر رسول الله ﷺ رجل يحب المرح والفكاهة والضحك والمزاح هـــو (النعيمان بن عمر الأنصارى) رويت عنه نوادر عجيبة وغريبة . . مما روى عنه أن أعرابياً أناخ ناقته بفناء مسجد رسول الله ﷺ ودخل المسجد وجلس مع رسول الله ﷺ فقال . . بعض الصحابة للنعيمان الأنصارى لو عقرتها فأكلناها فإنا قد قرمنا إلى اللحم . . ففعل . . فخرج الأعرابى وصاح واعقراه يا محمد فخرج النبى ﷺ فقال من فعل هذا ؟ قالوا النعيمان . . فاتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب واختبأ تحت سرب لها فوقه جريد فأشار رجل إلى النبى ﷺ حيث هو فأخرجه فقال له . . ما حملك على ما صنعت ؟ قال . . الذين دلوك على يا رسول الله هم الذين أمرونى بذلك . . قال . . فجعل النبى ﷺ يمسح التراب عن وجهه ويضحك ثم دفع ثمن الناقة للأعرابى . . وكذلك كان هناك (سويبط بن حرملة) وكان ممن شهد بدراً وجاء فى ترجمته فى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر أن سويبط هذا . . كان مزاحاً يفرط فى الدعابة ونعيمان وسويبط لهما قصص مشهورة شهد الرسول ﷺ كثيراً منها وشهد أبوبكر بعض منها .

لهذا يا شباب أريد أن أقول لكم إن الإسلام دين يعايش الناس على أرض الواقع لهذا نرى أن الكثير من الناس الذين عرفوا أن الإسلام دين سماحة ابتكروا ألواناً من الوسائل التى فيها ترويحاً عن النفس من ذلك مثلاً (النكت) فما يكاد الناس يجلسون مع بعضهم إلا ويقول أحدهم هل سمعتم آخر نكتة

وفى كثير من الأقوال ينسبون النكت إلى جحا وهو شخصية مجهولة الهوية أو إلى أبى نواس أو إلى أشعب وهو شخصية بخيلة متطفلة معروفة فى التاريخ ولا شك أن كل عصر يتسم بما يناسبه ففى فترة من الفترات ظهر (الأراجوز) وفى فترة أخرى ظهرت الألغاز وفى فترة ظهرت الحواديت إلى غير ذلك من الألوان المحببة التى يتقبلها الناس لأنها تكون ملائمة لظروفهم الاجتماعية أو السياسية وأخيراً ظهر فى عصرنا فن (الكاريكاتير) المهم الإسلام يا شباب لا يصادر أبدا نزوع الإنسان الفطرى إلى الضحك والانبساط والقرآن الكريم يقول ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]. والإسلام وقد أباح ذلك لكنه وضع له ضوابط يجب أن تراعى حتى لا يكون ما يسمح به الدين وسيلة إلى اختلاق الكذب والسخرية من الناس كما نسمع فى أول شهر إبريل من يقول كذبة إبريل والرسول ﷺ حذرنا من الكذب ونهانا عنه لهذا قال ﷺ (ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك القوم ويل له ويل له) رواه أبو داود . . ولا يليق أبداً بالمسلم أن يسخر من أخيه فى الإنسانية فالله تعالى يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] .

كما لا يليق بنا أبدا أن نروع مسلماً بنكتة أو نفزعه : فقد روى ابن أبى شيبة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال (لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متوامتين كانوا يتناشدون الأشعار ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد أحدهم على شىء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون .

وسئل ابن سيرين عن الصحابة هل كانوا يتمازحون ؟ فقال . . ماكانوا إلا كالناس فابن عمر كان يمزح وينشد الشعر) رواه أبو نعيم فى الحلية . . وقال الإمام على رضى الله عنه (أعط الكلام من المزح بمقدار ما تعطى الطعام من الملح) أى أن الإسلام يكره الغلو والإسراف فى كل شيء .

روى الأصمعى أن امرأة أعرابية بالبادية رآها تصلى خاشعة ضارعة . . ثم رآها تتجمل وتتزين وتقف أمام المرآة فلما برزت مع زوجها قال لها أين هذه من تلك . . يعنى من لحظة كنت فى صلاتك والآن تتجملى فأنشدت :-

ولله منى جانب لا أضيعه وللهو منى والبطالة جانب

هذا ياشباب هو رأى الإسلام الاعتدال فى كل شيء . . وعندكم حفلات السمر هاتو من طرائف الحكم واذكروها لبعضكم والتاريخ ملئ والقرآن يعيب على من أمضى حياته فى الضحك واللعب ولا يخشع لله ولا يقرأ القرآن ويتدبره . . لهذا يقول الله ﴿أَفَمِنْ هَذَا الحَدِيث تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ [النجم : ٥٩-٦١] . لهذا على الواحد منكم أن يعتدل فى حياته ولا يسرف فى هذا ولا ذاك وإنما يقيم التوازن بين مقتضيات الحياة .

٢ - **الغناء والموسيقى** : سؤال يتردد على كثير من ألسنة الناس . . ما حكم الإسلام فى الغناء والموسيقى ؟ أمام هذا السؤال ظهر أن الناس ينقسمون إلى أقسام ثلاثة :-

أ - فبعض الناس يضع أصابعه فى أذنيه عند سماع أى أغنية لأن الغناء مزمار الشيطان وبالتالى فهو يرفض أنواع الموسيقى وهذا الفريق يقول بأن صوت المرأة عورة فكيف إذا غنت ؟

ب - هناك فريق ثان يقول بأن كل أنواع الموسيقى حلال وبالتالى الغناء وأن هذا من طيبات الحياة التى أباحها الله لعباده . .

ج - فريق ثالث وقف متردداً ينحاز مرة إلى فريق التحريم ومرة أخرى إلى فريق التحليل .

ومما لا شك فيه أن هذا الأمر له أهمية لأن الإذاعة اليوم . . المسموعة والمرئية دخلت على الناس بيوتهم والذى يقرأ التاريخ يرى أن العلماء منذ العصور الأولى وبينهم خلاف فى هذا الموضوع . . لكن الأمر الذى نؤكده أن الغناء حرام إذا اشتمل على فحش القول أو حرض على معصية أو هيج المشاعر . . ذلك لأن الغناء كلام . . وكل كلام يشتمل على حرام فهو حرام لهذا . . ولقد قرر علماء الإسلام أن الأصل فى الأشياء الإباحة ولا تحريم إلا بنص صحيح صريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله أو إجماع ثابت . . فإذا لم يرد ذلك فيبقى الأمر فى دائرة العفو وقد قال الرسول ﷺ (ما أحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته . . فإن الله لم يكن لينسى شيئاً وتلا قول الله ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِياً﴾ [مريم : ٦٤] . والحديث رواه الحاكم والحق سبحانه وتعالى يقول فى القرآن ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام : ١١٩] . ومن المعروف أن الله خلق لنا ما فى الأرض لأنه هو القائل ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة : ٢٩] . ثم إن الحق سبحانه وتعالى هو القائل ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

أدلة تحـريم الغناء

إذا كان الغناء من اللهو الذى تستريح إليه النفس ويطرب له القلب إلا أنه يساعد على إثارة الغريزة الجنسية ويهدم الخلق الفاضل ويلهى الإنسان عن العمل الجاد ثم إنه ارتبط تاريخياً بأهل الترف والمجون ومجالس الشراب وأن الذين احترفوه وقاموا بأدائه اتسموا بالميوعة والخلاعة والبعد عن الأخلاق الفاضلة ولهذا كانت المحاكم ترفض شهادة المغنيين والموسيقيين ودليلنا على تحريم هذا النوع قول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

وهذه الآية التى استدلوا بها لا تؤيدهم فى ذلك فابن حزم يقول (إن الآية ذكرت صفة من فعلها كان كافراً بلا خلاف . . وذلك . . إذا اتخذ سبيل الله هزواً ولو أنه اشترى مصحفاً ليضل به عن سبيل الله ويتخذه هزواً لكان كافراً فهذا هو الذى ذمه الله . . وما ذم سبحانه قط من اشترى لهو الحديث ليتلهى به ويروح عن نفسه لا ليضل عن سبيل الله) . . كما رد ابن حزم أيضا على الذين قالوا . . إن الغناء ليس من الحق فهو إذا من الضلال . . قال تعالى ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]. لهذا فإن من نوى باستماع الغناء عوناً على معصية الله فهو فاسق ـ وكل شيء غير الغناء يلهى عن طاعة الله وأداء الواجبات فهو كذلك ـ أما من نوى الترويح عن نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل وينشط نفسه لهذا فهو مطيع محسن وفعله هذا من الحق . . ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه وقد استدل على ذلك بحديث رسول الله ﷺ المتفق عليه (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) انظر المحلى لابن حزم جزء ٩ . .

لكن المحتجين على التحريم عادوا فقالوا بأن الغناء حرام لقول الله تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]. والغناء من اللغو فوجب الإعراض عنه . . ونرد عليهم بأنه لا حجة فى هذا لأن الذى يستفاد من الآية أن اللغو هو السب والشتم والتجريح والإساءة بدليل أن الآية بتمامها تقول ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الجَاهِلينَ﴾ [القصص: ٥٥]. والآية لا تحرم الغناء بل تطالب بالإعراض عن سماعة ثم إننا نقول ليس كل غناء لغواً ففيه أحياناً تجد الحكمة وتجد الحث على الطاعة وتجد المدح فى شخصية الرسول ولفت النظر إلى آثار قدرة الله فى الكون فالغناء (حسنه حسن وقبيحه قبيح) والإنسان العاقل هو الذى يزن الأمور وكما قال ابن حزم فى كلامه الذى قدمناه ولقد روى عن ابن جرير أنه كان يرخص فى سماع الغناء والموسيقى فقيل له أيؤتى به يوم القيامة فى جملة حسناتك أو سيئاتك ؟ فقال . . لا فى الحسنات ولا فى السيئات لأنه شبيه باللغو الذى قال الله فيه ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥، والمائدة: ٨٩]. ويراجع فى هذا كتاب إحياء علوم الدين فى باب السماع . . واستدل القائلون بتحريم الغناء بحديث لرسول الله ﷺ وهو ليكونن قوم من أمتى يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف) الحر أى الفرج والمعنى يستحلون الزنا والمعازف آلات العزف كالعود والبيانو وغير ذلك والحديث وإن كان فى صحيح البخارى إلا أنه من الأحاديث المعلقة ولذلك رده ابن حزم لانقطاع سنده وقالوا بأن سنده ومتنه لم يسلما من الاضطراب وقد قال الحافظ الذهبى عن راوى الحديث صدوق مكثر له ما ينكر ثم إن الحديث يخص أخلاق طائفة من الناس انغمسوا فى الترف وشرب الخمور

فهم بين خمر ونساء ولهو وغناء وهم من عناهم الحديث الذى رواه ابن ماجه عن أبى مالك الأشعرى بلفظ (ليشربن أناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير) والأحاديث التى وردت فى الغناء فيها اضطراب ومنها المكفر وكل أحاديثهم ضعيفة قال ابن حزم ولا يصح فى هذا الباب شىء . . والذين استدلوا على تحريم غناء المرأة لأن صوتها عورة ليس هناك شبه دليل على أن صوت المرأة عورة لأن النساء كن يترددن على المسجد ويتحدثن إلى رسول الله وعارضت المرأة عمر فى المسجد والحافظ الذهبى وهو من هو تعلم علم الحديث على يد بعض النسوة كما أن المرأة تخرج مجاهدة فى سبيل الله لذلك نقول للشباب اعلموا أن الإسلام دين يسر لم يصادر حرية المرأة ولم يكمم فمها وإنما أباح لها ما أباح للرجل بشرط الحشمة والوقار وعدم التميع فى الكلام لقول الله تعالى ﴿ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

إن الله سبحانه أحل للناس الطيبات ومن الأمور الطيبة الترويح عن القلوب لأن فى الترويح عنها إعانة على الجد لأن ذلك يخفف عن الشخص أعباء الفكر والقلوب إذا أكرهت عميت ويكون اللهو دواؤها من داء الإعياء والملل على أن يكون اللهو مباحا يقول الإمام على كرم الله وجهه (إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة) ومن المؤكد أن القلب إذا استراح وروح الإنسان عنه نشط ولهذا يقول الإمام الغزالى (اللهو دواء القلب وينبغى أن يكون مباحاً ولا يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء) إحياء علوم الدين كتاب السماع . . إن عطلة يوم يستريح فيها الإنسان تساعد على النشاط فى الأيام التالية فكما أن العطلة معونة على العمل فإن اللهو كذلك معين على الجد لأنه لا يصبر على الجد والحق المتواصل إلا نفوس الأنبياء يقول الإمام الغزالى (من لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد فى غلظ الطبع على الجمال والطيور وجميع البهائم إذ الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء " الغناء " تأثرًا يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه فى سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فترى الإبل إذا سمعت الحادى تمد أعناقها وتصغى إليه ناصية آذانها وتسرع فى سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها) . . ولقد كان بلال رضى الله عنه ندى الصوت وكان يسرع فى مشيته وهو يحدو للجمال فتسرع خلفه وكان على ظهرها النساء فى الهوادج فيحدث لهن اضطراب وخوف فكان الرسول ﷺ يقول (يا بلال رفقاً بالقوارير) هذا والحق سبحانه

وتعالى رحمة منه لم يحرم على الناس إلا ما فيه خبث ويلحق بهم الضرر ولهذا قال الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤]. والله سبحانه لم يبح لأحد من الناس أن يحرم على نفسه أو على غيره شيئاً من الطيبات مهما يكن صلاح نيته فإن التحليل أو التحريم من حق الله وحده وليس من شأن أحد من الناس قال الله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ اللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]. ويقول أيضا مبيناً أن تحريم ما أحل الله من الطيبات كإحلال ما حرم الله من المنكرات كلاهما يجلب سخط الله وعذابه . . فقال ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠] .

إننا لو تأملنا لوجدنا حب الغناء والطرب للصوت الحسن يكاد يكون غريزة إنسانية وفطرة بشرية حتى إننا لنشاهد الصبى الرضيع فى مهده يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء لهذا الصوت والصوت الخشن يخيفه ويزعجه ويزيد الطفل من بكائه ونلحظ هذا أيضاً فى الطيور والبهائم فهى تتأثر بالصوت الحسن والنغمات الجميلة . . من هنا فقد روى ابن ماجه عن ابن عباس قال (أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله ﷺ فقال: أهديتم الفتاة ؟ قالوا: نعم . قال: أرسلتم معها من يغنى ؟ قالت: لا . فقال: رسول الله ﷺ إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول . . أتيناكم أتيناكم . . فحيانا وحياكم .

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة سنداً ومتناً ولعل ما فعله رسول الله ﷺ من إباحته لعائشة رضى الله عنها السماع إلى الغناء من الجاريتين وأن

أبابكر نهر السيدة عائشة وقال لها مزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ وقول الرسول لأبى بكر دعهما . . دليل على أن فى ديننا فسحة وأن الرسول ﷺ بعث بالحنيفية السمحاء وهو يدل على وجوب رعاية تحسين صورة الإسلام لدى المتزمتين وإظهار جانب اليسر والسماحة فى هذا الدين وهذا الحديث فى الصحيحين كما روى النسائى عن عامر بن سعد قال (دخلت على قرظة بن كعب وأبى مسعود الأنصارى فى عرس وإذا جوار يغنين فقلت أى صاحبى رسول الله ﷺ أهل بدر يفعل هذا عندكم ؟ فقالا . . اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قد رخص لنا اللهو عند العرس) واستدلوا بقول الله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة : ١١] . فالحق سبحانه وتعالى قارن اللهو بالتجارة وهى حلال بيقين ولم يذمهما إلا من حيث شغل الصحابة بهما بمناسبة قدوم القافلة وضرب الدفوف فرحا بها وقد تركوا النبى ﷺ قائماً يخطب ثم إن الرسول ﷺ أباح للحبشة أن يلعبوا بحرابهم فى مسجده ولا شك أنهم أثناء اللعب يتراقصون وقد أباح للسيدة عائشة أن تنظر .

يقول الإمام الغزالى إن الغناء لهو ولعب . . والدنيا كذلك لهو ولعب . لهذا نرى أن الغناء والموسيقى يأخذان حكم الإباحة لكثرة الأدلة التى أباحت ذلك ويكفى فى الإباحة سقوط أدلة التحريم . . والحمد لله الذين أباحوا معهم النصوص الصحيحة الصريحة التى تبين روح السماحة فى الإسلام ومن أراد التوسع فعليه أن يرجع إلى كتاب إحياء علوم الدين للغزالى وكتاب السماع .

إننا بلا شك عندما نقرأ حديث الحبشة وهم يرقصون بالمسجد ويلعبون

بالحراب ثم عندما نذهب إلى البساتين ونرى خضرة الأشجار وجمال الورود وهذه الروعة فى التنسيق الجمالى والروعة فيما أبدعته يد القدر . . ثم ما نسمعه من زقزقة العصافير وتغريد الطيور وما نلحظه من جريان الماء فإننا نلحظ أن الكون بأثره يغنى ويعزف مقطوعة موسيقية كل ذلك يريح النفس .

فإذا كان الإنسان فى هذه النشوة . . وسمع صوت حمار . . لا شك أنه ينفر لأنه كما يقول ربنا ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ [لقمان : ١٩] . ثم إن مفتاح الراديو أو التلفزيون فى يدك والحمد لله محطات الإرسال كثيرة متنوعة وعندك إذاعة القرآن متخصصة ليلاً ونهاراً فاختر لنفسك ما شئت واجلس ما شئت بشرط . . لا تهمل الصلاة ولا تقصر فى أداء واجب ولا تهمل مذاكرتك أو اطلاعك على بعض الكتب لتوسع من مداركك وتزداد معارفك وأنت على نفسك بصير . . وقد قلنا بأن الله منحك الحرية وترك لك تختار ما تشاء بعد أن بين لك السبيل وحدد لك المعالم وقال لك لا تكره غيرك على ما تريد . . بل عليك أن تنصح برفق . ولا تستعمل العنف ولا تلوح بالإرهاب

فالدين للديان جل جلاله لو شاء ربك وحدَ الأديانا

والله تبارك وتعالى يقول ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾ [الإسراء : ٨٤] .

أما الفريق الثالث . . فهو يميل مع أصحاب الحجة القوية والدليل القاطع . . ونحن ننهى عن الغناء الماجن الذى يفرق الناس فى الملذات وبسببه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وتلاعب الحسان من المغنيات بعقول الحضور ونحن نقول لهؤلاء اتقوا الله واعلموا أن الدنيا فانية ولا تكونوا سبباً فى نشر الرذيلة لأنكم ستحاسبون عليها واسمعوا إلى قول رسولكم الكريم (من سن

سنة حسنة فى الإسلام فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) لا يخدعنكم الشيطان فإن الصحة التى فى أجسامكم أمانة فيكم من عند ربكم وسوف يسترد صاحب الأمانة أمانته ويومها تندمون ولا ينفع الندم . . ففروا من الآن إلى الله . . ولا مانع من الغناء بشرط الحشمة فى الملابس والكلمة المهذبة والتعبير بعدم الميوعة . . لتكونوا أمناء فى بناء جيل المستقبل الذى نرجوا له كل خير . . ونهمس فى أذن المتفرجين . . لا تسمح أبدا لابنتك أو زوجتك أو أنت لتقفوا وتتراقصوا أثناء غناء المغنى أو المغنية لأن السماع والطرب يتطلب ذلك ضبط النفس وعدم جرح شعور الآخرين فهل لنا يا شباب أن نصحح أمور ديننا ونتعرف على ما جد فى مجتمعنا ونزن بميزان العقل وهو الجوهرة الغالية الثمينة التى أودعها الله فينا ومع العقل نقرأ القرآن لأنه الكتاب الذى أحكمت آياته هو الفصل ليس بالهزل . . ولا مانع أبداً عن أن نروح عن أنفسنا وأن نقيم ميزان الاعتدال فى حياتنا على أنفسنا وكما قال الرسول ﷺ لحنظلة (ساعة وساعة) ذلك خير وأحسن السبل إلى حياة واالسعادة والهناء والاعتدال الذى يكون من ورائه الخير كله .

الرأى الذى نميل إليه

الغناء ما هو إلا كلام حسنه حسن . . وقبيحه قبيح . . وهو جائز فى مواضع كثيرة . . لأن له فائدة مباحة وبالتالى يكون سماعه مباحاً فمثلاً :

١ -التغنى فى الفرح إشهاراً له لأن الرسول ﷺ قال للسيدة عائشة عندما زوجت فتاة فى صمت قال لها هلا بعثتم معها من يغنى ؟ قالت . . لا . قال أو ما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل . . قالت فماذا يقول ؟ قال يقول :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا لم نحلل بواديكم

٢ -الوفاء بالنذر . . كما روى الإمام أحمد والترمذى أن رسول الله ﷺ خرج فى بعض مغازيه فلما انصرف جاءته جارية سوداء . . فقالت يا رسول خالله إنى كنت نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى . قال . . إن كنت نذرتى فاضربى . . ولقد صاغ الشاعر العظيم حافظ إبراهيم هذه القصة شعراً فقال :

أرأيت تلك التى لله قد نذرت أنشودة لرسول الله تهديها
قالت نذرت لإن عاد النبى لنا من غزوة لعلى دفى أغنيها
ويمنت حضرة الهادى وقد ملأت أنوار طلعته أرجاء ناديها

٣ -التغنى فى الأعياد إظهار للسرور . . فقد روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان وتضربان بالدف ورسول الله ﷺ مسجى بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف رسول الله عن وجهه قال : (دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد) . .

٤ -التغنى للتنشيط للجهاد . . فقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان

فى سفر مع رسول الله ﷺ الذى أراد أن تسرع الإبل فى السير لطول الطريق فقال الرسول ﷺ (لعبد الله بن رواحه) أحد شعرائه لو حركت الركاب (يقصد رسول الله ﷺ تحريك الإبل) فسكت عبد الله لحظة حياءاً من رسول الله ﷺ فقال له عمر (اسمع وأطع) فأخذ عبد الله يحدو وكان صوته ندياً فقال :

والله لـــولا الله مـــا اهـتـــديـنـــا ولا تـصـــدقـنـــا ولا صـلـيـنـــا

الـكـــافـــرون قـــد بغـــوا علـيـنـــا وإذا أرادوا فـتـنـــــة أبـيـنـــــا

وإنـــا عـن فـضلك مـــا استغنينـــا فـثـبـت الأقـــدام إن لاقـيـنـــا

وأنزلن ســـكينة عـــلينا

فاندفعت الإبل من ورائه وسالت البطحاء بأعناق الرجال .

٥ -تغنى النساء لأطفالهن . . فحين يتهيأ الطفل للنوم تهدهده أمه وتغنى له . . وهناك بعض الكلمات مثل (يارب تنام وأنا أجيب لك جوز حمام) .

٦ - تغنى أصحاب الأعمال وأرباب المهن أثناء العمل خاصة الذين يعملون فى المعمار أو حمل الأثقال على ظهورهم مثل (هيلا هيلا ع النبى صلى . .) ولعل هؤلاء يستندون إلى فعل الصحابة عندما كانوا يبنون المسجد النبوى فكانوا يرددون وهم يحملون الحجارة على أكتافهم :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

٧ -إظهار الفرح عند مقدم شخصية عظيمة من سفر أو من الحج مثلاً المهم المناسبة سارة ويستدلون بذلك أن بنات النجار استقبلن رسول الله ﷺ بالدفوف وهن يتغنين بقولهن :

طلـــــع البدر علينا من ثنيات الـــوداع

وجب الشـــكر علينا ما دعـــــا لله داع

أيها المبعـــوث فينا جئت بالأمر المطاع

جئت شرفــت المدينة مرحبا يا خـير داع

٨ -ضغط الواقع الاجتماعى مما حدا بأن يتجمع أهل الحى مع بعضهم ليلاً وينشدهم من صوته جميل بما سمى عند ما ظهر على الساحة بغناء المواويل والملاحم الشعبية وكذلك ما نجده يتردد على ألسنة الباعة الجائلين . وكذلك ما كان يحدث فى شهر رمضان المبارك عندما يقوم أحد الناس بالمرور فى شوارع القرية أو المدينة بعد منتصف الليل ليوقظ الناس بكلام منظم منغم مع دق على طبلة ليوقظ الناس للسحور إلى غير ذلك كثير مثل الفرح عند ولادة المرأة وختان الصبى وشفاء المريض .

الأمر الذى نجد معه أن فن الغناء يتخلل حياتنا كلها ويتجاوب الناس مع بتلقائية ولقد رأى علماء الإسلام هذا فى عصورهم الزاهية وما أنكروه أبدا .

لكن الشيء الذى ننكره ونجرمه ونحرمه هو (الغناء الماجن الذى تظهر فيه المغنية بملابس عارية وتتلاعب بالألفاظ مع هزات جسمها والجالسون أمامها فى أيديهم الكأس وقد لعبت الخمر بعقولهم فيرددون ألفاظ يحرمها الدين ويجرمها القانون هذا هو الشيء الذى ننكره وكذلك الألفاظ التى تغنيها كقولها (الدنيا سيجارة وكاس) أو يظهر الرجل فيغنى ويقول (ياشبشب الهنا ياريتنى كنت أنا) أو تكون الأغنية مدح فى الفسقة والظلمة . . أو أن تكون الأغنية تمجد صاحـــب العيون الجريئة أو تشكك فى أصول الإيمان كقولهم (جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت) أو أن تكون الأغنية من الأغانى التى تنبه الحس وتوقظ الغرائز وتهيج الشهوة مثل (يا حبيبى تعال وكفاية اللى فاتنا) أو (حبيبى آهه) المهم . . أن الغناء ككل المباحات حلاله حلال وحرامه حرام .

ونحن لا نريد أن نسرف ونبالغ فى إبراز شىء على حساب شىء آخر لأنه من المؤكد أن الدين حرم الغلو والإسراف فى كل شىء حتى فى العبادات ويكفينا ما عرفناه علماً بأن الأذن دائماً تطرب لسماع الصوت الندى وهى موصولة بالتلذذ من الكلمات الطيبة التى يرددها الصوت الحسن وخذ مثلاً :

١ -سماعك للقرآن الكريم . . لقد كان النبى ﷺ يستمع إلى أبى موسى لأشعرى ويقول له (لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود) .

٢ -الأذان . . فلقد رأى أحد الصحابة فى المنام من لقنه ألفاظ الآذان فلما ذكر ذلك للنبى ﷺ قال علّمه بلالاً فإنه أندى منك صوتًا وأصبح الأذان ميراثًا من عهد النبوة تستريح له الأذن إذا رفعه صاحب صوت ندى .

٣ -الابتهالات الدينية والتواشيح التى تنشد بأعذب الألحان وأرق الأصوات فتطرب لها الأفئدة فينشط الإنسان وتهتز مشاعره ورحم الله الإمام الغزالى الذى قال فى كتاب الإحياء . . الحقيقة أنه لم يرد نص صحيح الثبوت صريح الدلالة يمنع من هذه الأوتار والمزامير .

لكل هذه الأسباب يتبين لنا أنه لا بأس بالاستماع إلى الموسيقى والغناء الجاد على أن تضع أمام أعيننا . . أن من نوى باستماع الغناء عونا على تنشيط نفسه والترويح عنها حتى يقوم بأداء عمله وعبادة ربه بعزيمة قوية وجسد نشيط وقلب حاضر واع فلا بأس بذلك أبدا . . أما من نوى بالاستماع عونا على المعصية فهو يدخل فى دائرة الكراهة فإن عطله ذلك عن مذاكرة دروسه أو أداء أعماله وشغله عن الصلاة فقد يؤدى ذلك إلى الحرمة لأن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى . . والإنسان هو مفتى نفسه وأعلم بحال الغناء فى قلبه ثم علينا أن نعلم أن الإسلام يحارب الإسراف فى كل شىء لأنه كما قيل (ما رأيت إسرافاً إلا وبجانبه حق مضيع) . .

لهذا فإن على شبابنا أن يكونوا أمناء على أنفسهم وأن يبتعدوا عن كل شيء يبعدهم عن الجد والاستقامة وعدم ضياع الوقت والإهمال فى أداء الواجبات . . ومن المؤكد أن الغناء والموسيقى إذا اقترن أحدهما بمجلس شرب خمر أو كانت هناك ميوعة وخلاعة فهذا أمر لا يقره دين ولا يرضاه خلق بل الغرض من الاستماع هو الترويح عن النفس والتنشيط .

الفصل الخامس

الرسـم والتصـوير

من الأمور التى تثار فى مجتمع الشباب قولهم (هل الرسم والتصوير حرام ؟)إذا كان الأمر كذلك فكيف نتمتع بالجمال هل الإسلام يحرمه أيضاً؟.

ونقول . . إذا نظر الإنسان فى المرآة ورأى تقاسيم وجهه . . ثم نظر إلى الحيوانات من حوله لا شك أنه سوف يرى يد القدرة وقد أبدعت رسم الإنسان وجعلته فى أحسن صورة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤] ومن المؤكد أن علماء المنطق عرفوا الإنسان بأنه حيوان ناطق فإذا رأى الإنسان أن الله أبدعه هو فى أجمل صورة بدءاً من مراحل التكوين فى بطن الأم حيث يقول الحق سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]. ويقول أيضاً ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧، ٨]. لهذا فإن الله سبحانه جميل يحب الجمال بدليل أنه خلقك فجملك وحسن صورتك وأقام فى جسمك التوازن فى كل شىء وصدق الله العظيم ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤].

ثم إن الحق سبحانه الذى خلقك . . خلق الكون من حولك وأبدع فى رسمه ولك أن تتأمل فى الكون الذى يحيط بك . . ارفع رأسك إلى السماء والحق ينبهك إليها ويقول لك ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]. وأنت عندما تنظر إلى السماء يخيل إليك

بحكم بصرك أنها تلتقى مع الأرض وكلما تحركت أنت لتصل إلى السماء عند لقائها بالأرض ترى أنها تتسع لأنها سقف مرفوع ولهذا يقول لك الحق ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]. والأرض التى تحت قدمك وأنت تتحرك عليها هى الأخرى أبدعت يد العناية الإلهية كل الجمال عليها فالمياه الجارية والأشجار العالية والطيور المغردة أشياء تريح النفس والأعصاب وتهدئ الخاطر لأنك عندما ترى الأشجار ترى الزهور المختلفة والأشجار المثمرة من كل ما يحتاجه الإنسان لغذائه ولهذا يقول لك الحق ﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]. وبالإجمال يقول لك الحق ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ٦-١٠].

إن الحق سبحانه يلفت نظرك إلى الجمال المبثوث أمامك فى الكون . . لأن التذوق الجمالى يرقق الحس ويسمو بالشعور ويرقق العواطف ويهذب الوجدان . . لهذا كان لفت نظر الإنسان إلى السماء بما فيها من النسق العجيب والأشياء الفريدة لتنظر إلى هذا الجمال المبثوث فى السماء . . ثم الأرض بما فيها . . من وردة حمراء وأخرى بنفسجية وأخرى صفراء وغيرها بيضاء والأرض التى كسيت بكساء سندس أخضر إلى غير ذلك من الجنات المعروشات وغير المعروشات . . هذا هو الجمال الذى يلفت الإسلام نظرك إليه لينعكس أثره فى نفسك . . اعترافًا بالمبدع القادر الواحد الخلاق . وعليك أنت مع تذوقك لهذا الجمال أن يكون له أثر فى سلوكك الخاص والعام .

وإذا كان تاريخ عبادة الأصنام وتقديس الأوثان يدل على أنها بدأت

بالتصوير كما ذكر المفسرون عنه قول الله تعالى على لسان قوم نوح ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَداً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ [نوح : ٢٣] أن أسماء هذه الأصنام المذكورة كانت أسماء رجال صالحين فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون إليها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم . عبدت رواه البخارى . . إن الإسلام وهو يلفت نظرك إلى الكون يقول لك وأنت تستمتع بالجمال صور ماشئت وإن كنت تجسم فى النحت فحاول دائماً أن لا تجسد كل ذى روح مما لا يقدس ولا يعظم وإنما اتجه دائماً إلى الطبيعة واستخرج اللوحات الفنية وأمامك النخيل والبحار والسفن والجبال والمناظر الطبيعية فاتجه إليها وأبرز هذا الجمال . . وإن كان لابد من أعمال النحت فشوه أى شىء فى التمثال بأن تجعل فى جنبيه فتحة أو فى مكان القلب كما أن عندك لعب الأطفال التى تمتهن لأن الرسول ﷺ يقول فى الحديث القدسى الذى رواه عن رب العزة . . قال الله تعالى . . (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبه أو ليخلقوا شعيرة) حديث متفق عليه . ومن الأشياء المباحة التصاوير التى تكون فى القماش يتخذونها الناس ستائر على بيوتهم . . كذلك الصور الفوتغرافية فهى مباحة ولا بأس بها وقد أفتى الشيخ محمد نجيب مفتى مصر (أن أخذ الصورة بالفوتوغرافيا الذى هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة ليس من التصوير المنهى عنه فى شىء) والذين يقومون بعمل التماثيل النصفية التى تنصب فى الميادين نقول لهم عدم القيام بهذا العمل أفضل وعدم وضعها فى البيوت لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل أو تصاوير كما قال الرسول ﷺ فى الحديث

الذى رواه مسلم لأن السر فى ذلك أن هذه التماثيل اتخذها المشركون ثم عبدها أولادهم من بعدهم والإسلام يصون العقيدة من كل شبهة للوثنية علاوة على أن (المثال) الذى ينحت التماثيل يملأه الغرور ونحيل إليه أنه قادر على الخلق والإبداع فالإسلام يغلق الباب من أول الأمر حفاظاً على الفرد والمجتمع وصيانة للعقيدة وحفاظاً على الأخلاق . . وأما التصاوير فمقصود بها تصوير النساء العاريات وإبراز مفاتن المرأة وإظهار أماكن العفة منها وكذلك تصوير الأوضاع الشاذة فى العلاقات الجنسية ويدخل ذلك فيما تنشره الجرائد أو المجلات وما يقتنيه بعض الناس فى بيوتهم من هذه الصور أما ما عدا ذلك فلا بأس به كما هو الحال فى التماثيل الممتهنة وعرائس الأطفال التى تصنع من الحلوى أو البلاستيك أو ما شاكل ذلك . . وما يردده البعض من أن هذه التماثيل تصنع لتخلد بها الحكام والملوك والرؤساء فإننا نقول إن تخليد العظماء والملوك والرؤساء يكون بالذكر الحسن والسيرة الطيبة والعمل الجليل الذى قام به وما قدم لأمته ووطنه (والذكر للإنسان عمر ثان) وبهذا خلد أنبياء الله ورسله والأئمة والأبطال . . لأنه كم من تمثال قائم فى بعض الأماكن الناس تلعنه . . وكم من تمثال لا يعرف صاحبه (كلاظوغلى مثلاً) ماذا يعرف الناس عنه . . لا شىء . . فحفاظاً على قيم ديننا علينا أن نتجه إلى الطبيعة ونعكس مناظرها الجميلة فى لوحات فنية عالية القيمة وأن نبتعد عن التماثيل وصناعتها فإن كان ولابد فلنشوه فيها ومنها أى شىء حتى لا يأتى أحد من بعدنا فيعبد هذه التماثيل فتكون وقوداً فى نار جهنم لمن صنعها وعبدها وأمامنا التصوير الفوتوغرافى فلنطور فيه ونبتكر منه ما نشاء . . ولعل فى اتجاه المدارس الفنية إلى إبراز الفن التشكيلى من حيث التفنن فى زخرفة

المساجد والمنازل وعلى الأرضيات أحياناً وفى الأدوات المنزلية ثم دخل فن الزخرفة إلى المصحف الذى أبدع فيه الخط العربى ونوع وكان لهذا الفن ما نراه اليوم من الخط الجميل والزخرفة الرائعة ما نراه فى فن البناء الذى تجلت فيه العبقرية كما نلحظه فى فن العمارة الإسلامية التى تجلت فى مساجد كثيرة أصبحت آية فى الجمال والروعة والباب مفتوح للابتكار فى هذا المجال وحتى لا نقترب من ساحة الحرام عندما نشارك فى صنع التماثيل ويقال لنا ما قاله لمن قبلنا ﴿مَا هَذِه التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]. علينا أن نصون أنفسنا من فعل الموبقات وأمامنا الميدان واسع وفسيح لإشباع رغبتنا فى رسم المناظر الطبيعية واستلهام الجمال من كل شىء يحيط بنا لنندلل على قدرة الله ولا نسير فى طريق لا تحمد عقباه . . والأمر واضح وصريح . . والحق لا لبس فيه ولا غموض وليس هذا بحجر على الحرية لأن كل إنسان له أن يفعل ما يشاء وعند الحساب لا يلومن إلا نفسه ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِه وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥]. لذلك نحن نوضح الصورة ونبين الطريق ثم من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى.

يميل الإنسـان دائماً إلى الترويح عن نفسه . . فمن النـاس من يميل إلى الغناء أو اللعب على آلات الموسيقى ومنهم من يميل إلى اللعب كما سنبينه مما يجلب المتعة النفسية للإنسان ويشغل وقته ليروح عن نفسه فإن الله لا يمل ولكن الإنسان هو الذى يمل ويتعب ولهذا أمرنا الله بالاعتدال وأخبرنا أننا أمة وسط فى كل شىء . . قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: ١٤٣]. إذاً الإنسان المسلم يضع الأمور فى نصابها ولا يتفلت من أداء الواجبات ولا يهمل فيها ولا يغالى حتى فى العبادة . . فإننا نذكر الحديث الذى جاء فى الصحاح عن الثلاثة الذين ذهبوا إلى بيوت رسـول الله ﷺ وسألوا عن عبادته وكأنهم تقالوها وبلغ الرسـول ﷺ ذلك فقال (والله إنى لأتقاكم لله وأخشاكم له ولكنى أصلى وأرقد وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) . . لهذا فالإنسان المسلم مطالب أن يعتدل فى حياته فلا يتزمت ولا يضيع وإنما كما قالوا (خير الأمور الوسط) وكما يقول الشاعر :-

ولله منى جانب لا أضيعه وللهو منى والبطالة جانب

ومن المؤكد أن الواجبات أكثر من الأوقات لكن الإسلام وجه الإنسان إلى الترويح عن النفس والترفيه عنها حتى تنشط وتؤدى الواجب عليها بجد واجتهاد .

ألوان اللعب

فى عصرنا هذا يطلق اللعب على (الرياضة البدنية) مثل لعب الكرة بأنواعها والسباحة والعدو . . وغير ذلك من الألعاب والإسلام لا يمنع هذه الألعاب لأن الغرض منها تقوية الجسم واكتساب المهارات وتنمية القدرات بشرط عدم التعصب لفريق على فريق لأن هذا التعصب يكون سبباً فى الاعتداء من فرد على فرد أو من الأفراد على بعضهم وهذا أمر منهى عنه لأن الله تعالى يقول ﴿ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة : ١٩٠] . والمطلوب من الإنسان العاقل أن يشجع اللعبة الصحيحة . . فالرسول ﷺ كان يمر على أصحابه وهم فى حلقات الرمى فيشجعهم جميعاً ويقول (ارموا وأنا معكم) حديث رواه البخارى كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون على الأقدام والنبى ﷺ يقرهم على ذلك بل هو ﷺ كان يتسابق مع السيدة عائشة رضى الله عنها وفى مجال المصارعة صارع النبى ﷺ (ركانة) وكان من المصارعين الكبار ولقد تكلم الفقهاء على أن ألعاب الرياضة التى تقوى الجسم لا تنافى الوقار والشرف والعلم والفضل لأنها تهىء نفس المسلم للإقبال على العبادات وهو أكثر نشاطاً والرسول ﷺ كان يشجع الصحابة على ركوب الخيل يقول عنها (الخيل معقود بنواصيها الخير) رواه أحمد . ويقول (ارموا واركبوا) رواه مسلم . . وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول (علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً) الأمر الذى يجعلنا نقول لشبابنا تعلموا فنون الرياضة واكتسبوا منها المهارات . . وإذا كنت فى ناد تشجعه لا تتعصب له التعصب الأعمى الذى

يجعلك تفقد توازنك وتخرج على حدود العرف والتقاليد وأنت تنافس أنصار فريق النادى الآخر ذلك لأن الرياضة (فن وذوق وأدب واحترام للغير وأخلاق عالية ومروءة كريمة) واحذر أن تلعب بالقمار لأن الله حرم القمار كما حرم الخمر كما حرم عبادة الأصنام . . وذلك بأن يلعب الإنسان الطاولة) مع صاحبه ويقول له (المغلوب يدفع عشرة جنيه) وهذا هو القمار . . فقد روى أبو داود أن النبى ﷺ قال (من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله) وهذا اللعب وإن لم يتبين منه أنه قمار إلا أن الشوكانى قال أن الحديث يحمل على من لعب بالقمار حيث جاء فى حديث آخر رواه الإمام مسلم أن النبى ﷺ قال (من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده فى لحم خنزير ودمه) . . وعلى هذا الأساس حمل الشوكانى هذه الأحاديث وأمثالها على أن لعب الطاولة أو الشطرنج يصاحبه قمار ويكون اللعب سبباً فى تأخير الصلاة عن وقتها وأن يصرف الإنسان وقته فى اللعب فيهمل فى أداء الواجبات عندئذ يكون اللعب حرامًا .

ظهرت فى المجتمع بعض ألعاب للتسلية مثل (السيجا) و(الدومينو) و(شد الحبل) و(ترقيص الخيول) و(الألعاب السحرية) التى تعتمد على خفة الحركة واليد وما يقوم به بعض الذين يروضون القرود والأسود وأمثال ذلك كثير . . ولا بأس بهذه الألعاب لأنها تدخل نوعاً من الضحك والترويح على النفس والمهم أنه لا يصاحب ذلك قمار وعدم احتفار الآخرين . . لأن هذه التسلية من الأمور الجائزة خاصة وأننا نعلم أن رحلة الحياة شاقة جداً حافلة بالمتاعب والآلام ونحن فى عصر تحدث فيه ضغوط نفسية على الفرد والجماعة بسبب الصراعات النفسية والتفكك الأسرى الذى بدأ يظهر والصدام الاجتماعى بين الأفراد والكوارث التى تنزل بالإنسانية إلى غير ذلك من المتاعب والآلام النفسية مع ما صاحب ذلك من أمراض تفشت لم يكن للبشرية عهد بها من قبل . . إزاء هذه الضغوط كان كل الناس فى حاجة إلى واحة يخففون عن أنفسهم فيها ويروحون عنها حتى يتغلبوا على الهم والغم إن المؤمن كما جاء فى بعض الآثار بين خمس شدائد (مسلم يحسده ، ومنافق يبغضه . . وكافر يقاتله . . وشيطان يضله . . ونفس تنازعه) ولذلك كان المستحب للإنسان بقدر ما سمحت به إمكاناته أن يروح عن نفسه دائماً حتى ولو بالنكتة وكل ما يدخل عليه السرور ويطارد الحزن من قلبه والكآبة من حياته ويجعله دائماً مرحاً فرحاً . . لذلك نجد أننا فى صغرنا كنا نفرح بالحواديت) وكنا نهتم جداً بالألغاز التى تسمى الآن (الفوازير) وكانت هناك مجلات تخصصت فى إبراز النكتة مثل مجلة (البعكوكة) وظهر فى عصرنا

كذلك (الكاريكاتير) والإسلام دائماً لا يصادر نزوع الإنسان الفطرى إلى الضحك والابتسام بل مطلوب من المسلم أن تكون شخصيته متفائلة عنده أمل فى غد يتطلع إلى الدنيا بنظرة ملؤها الثقة والاطمئنان وقدوتنا فى ذلك رسول الله ﷺ فبرغم همومه الكثيرة كان يحيا مع أصحابه حياة عادية يشاركهم فى ضحكهم ولعبهم ومزاحهم وكان يمزح هو ﷺ ولا يقول إلا حقاً . . فلقد روى الحافظ العراقى أن الضحاك بن سفيان الكلابى كان رجلاً دميمًا قبيحًا فلما بايعه النبى ﷺ قال الضحاك للنبى ﷺ . . إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء (يقصد عائشة رضى الله عنها) وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب . . أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها . . وعائشة جالسة تسمع . . فقالت . . أهى أحسن أم أنت ؟ فقال . . بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه لأنه كان دميماً . . ولقد كان فى عصر الرسول ﷺ رجل يسمى (نعيمان) وآخر يسمى (سويبط) وكانا يمزحان كثيراً ويعملان على إضحاك رسول الله ﷺ والصحابة . . وكان رسول الله ﷺ يشاركهم الضحك لأنه من المعلوم أن الضحك من خصائص الإنسان هو نتيجة لكلام سمعه أو شىء رآه ففهم أمرا وعرف شيئاً فيضحك لهذا . وعلى هذا نقول للشباب (من يبك يبك وحده . . ومن يحزن يمرض) والإسلام لا يرضى لك ذلك لكنه يرشدك إلى أن تؤسس حياتك على الاعتدال والمرح والسرور . . ولقد كان رسول الله ﷺ إذا دخل إلى بيته بعد معركته فى الحياة الاجتماعية مع المشركين سمع فيها ما يكره بل أحياناً تمتد إليه الأيدى ترميه بالحجارة ويرى أصحابه وهم يعذبون ورغم كل هذا العناء والتعب والمواقف العصبية إذا دخل إلى بيته بسامًا ضحاكاً يكون فى خدمة أهله . . لهذا نقول

لك (واضحك تضحك لك الدنيا) وكن معتدلاً فى كل شىء لا تسرف ولا

تغالى ولا تتزمت وكن أميناً على نفسك يفتح لك الله أبواب الخير وبالعمل

يرزقك الله من حيث لا تحتسب .

الإسلام ليس غريباً على الكون لأن الإسلام هو (الانقياد والامتثال لأوامر الله الخالق بلا اعتراض) فكل من فى الكون خاضع لأمر الله مطيع له وصدق الله العظيم ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ [الرعد: ١٥]. إذاً الكون كله مسبح بجلال الله وعظمته خاضع لمشيئته وصدق الله العظيم ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. والإنسان فى هذا الكون أثر لقدرة الرحمن ولأن الله كرم هذا الإنسان بعث إليه الأنبياء ليرشدوه ويبينوا له الخير ويأمروه بفعله لأن كل شيء ينهض بهذا الإنسان ويبرز خصائصه جاء ذلك فى رسالة الأنبياء وكانت الشرائع توجه على أن الأسر تصان فى ظل عقيدة صحيحة وشريعة جاء بها الأنبياء ويترتب على ذلك حل المشاكل الاجتماعية البيئية والعالمية ولقد ختمت رسالات الأنبياء برسالة سيدنا محمد وهى . . رسالة عالمية خاتمة خالدة لأن الإسلام جمع فى تعليماته كل ما يهم المجتمع العالمى فحقيقته متكاملة تقوم فى الوجود الإنسانى قيام الشمس فى عالم الطبيعة . . الكل يتقبل منها على حسب طاقته وقدرته . . تلك حقيقة لا يختلف عليها إنسان وإنسان لأن العبادات فى الإسلام عالمية بمضمونها وآدائها بل والاعتقاد فيها . فالصلاة مثلاً . . يؤديها كل إنسان فى أى مكان بنفس الهيئة والكيفية التى يؤديها الإنسان فى مكان آخر حتى ولو كانت المسافة بين الإثنين ملايين الملايين من الكيلومترات لأن حقيقة الإيمان واحدة وكل أركان لا تضارب فيها ولا تعارض فالمسلم مطيع لربه منقاد فى سلوكه يتحلى بالطهر والأخلاق فى

معاملته مع الناس بالحق والعدل . . وقس على ذلك بقية الأركان . . لهذا نقول وبصدق وحق الإسلام دين الإنسانية جمعاء . . ولقد ظهرت عالمية الإسلام والإسلام محاصر فى مكة . . عندما وجه حامل الرسالة الأول ﷺ ومبلغها أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ولماذا الحبشة ؟ لأنها بلد فى قارة غير القارة التى نزل فيها الإسلام . . الأمر الآخر أن هذه البلدة على شاطىء بحر وهناك ترسو السفن المحملة بالتجارة ومع البضائع الرجال والتجار جاءوا من كل قارات المجتمع الإنسانى وهؤلاء سوف يسمعون عن المسلمين المهاجرين ويسألون عن الدين الذى اعتنقوه وكل واحد يحمل خبر هؤلاء إلى بلاده .
وهنا ينتشر الإسلام فى قارات العالم ولو بالعلم به ذلك لأن الله تعالى يقول لحبيبه ومصطفاه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . ويقول أيضاً ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[الفرقان : ١] فالدين الإسلامى دين عالمى ويعرف هذه العالمية من لحظة نزوله . . وفى عصرنا هذا دخلت حكمة العولمة فى لغة التخاطب والتفاهم فما هو المقصود منها ؟ . . : -

١ - اختلفت الآراء حول هذه الكلمة . . هل هى يقصد بها :

أ - انفتاح المجتمع على العالم . . سياسياً وزراعياً وتجارياً إلى غير ذلك من أنواع المعاملات . .

ب - أم أن المقصود من هذه الكلمة أن المجتمع يأخذ من العالم ما يموج فيه من أفكار ومذاهب سواء أتتفق مع ديننا أم تختلف .

ج - أم أن المقصود بها أن نقلد المجتمعات فى المشى وتسريحة الشعر وأن يتحلى الرجال بالذهب . . وكذلك يلبسون الحرير حتى ولو كان فى ذلك مخالفة صريحة للدين والعرف الاجتماعى . .

د - أم أن المقصود من ذلك أن نترك المرأة تسافر وحدها وتصاحب من تشاء .

لم يقف العلماء على تحديد مفهوم محدد من العولمة . . لهذا نقول لشبابنا . . اعلموا أن الإسلام دين عالمى يألف الناس ويدعونا إلى أن نتآلف معهم بالصدق والتعاون ويوجهنا إلى أن (الحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها فهو أحق الناس بها) فعلينا إذاً كمسلمين أن نقتبس من المجتمعات الأخرى الشىء قالذى لا نجده عندنا وبحيث لا يتصادم مع مبدأ صريح من تعاليم الإسلام . مثلاً . .

١ -الخمر والخنزير حرمهما الإسلام . . فإذا جاءت دولة لتبيع لنا هذه الأشياء كان الرفض التام . . لأن الإسلام حرم ذلك صراحة . . ويقاس على فـلك المخدرات والحبوب المخدرة والحقن وما يدور فى فلك ذلك .

٢ -الكوافير . . خياط النساء . . المرأة فى الغرب تذهب إلى الكوافير وهو رجل وصانع الملابس عندهم رجل . . فيقال لنا الموضة فى هذا العام تسريحة شعر المرأة كذا على أن تقوم بعمل ذلك على يد رجل وكذلك تفصيل الفستان والجلباب بيد رجل قلنا لا لأن ذلك حرام . . بالنصوص الصحيحة الصريحة فإن قالوا لنا الموضة والتطور والرقى . . قلنا الأخلاق الفاضلة هى التقدم والحفاظ على القيم الإسلامية هو التحضر .

٣ -فإن قالوا لنا الرياضة تقوى البدن وتصحح الأجسام ويجد فيها الإنسان مجالاً للترويح عن النفس . . قلنا . . نعم . . هذا حق . . ليس فيه اعتراض فإن قالوا لنا لماذا تحرمون المرأة من اللعب وممارستها للسباحة والجمباز والكرة وغير ذلك ؟ "قلنا" نحن لا نحرم . . لكننا نقول . . المرأة تلعب الرياضة فى أى لعبة تشاء . . لكن فى أماكن مغلقة . . على النساء فقط .

لأن المرأة جوهرة ونحن نصونها من عبث العابثين ونحافظ عليها من العيون الجريئة التى تحاول العبث بها . . فالمرأة شقيقة الرجل لكن الإسلام أحاطها بسياج الفضيلة والحشمة . . لأن الرجل دائما يشتهى المرأة . . والممنوع امرغوب . . وإذا كان الإسلام قد حرم أن تمارس المرأة الرقص أمام الرجال . فما بالك بلعب الجمباز والسباحة ويظهر ذلك على شاشة التلفاز ولعلنا رأينا الكثير من الشباب وهم يتصايحون ويرددون بعض الكلمات التى تخدش الحياء وتهتك ستار العفة ونحن كمجتمع شرقى نعلن استياءنا من هذه الصور العارية أو الألعاب الرياضية للنساء ونقول لمن يضعون الخريطة الإسلامية رفقاً بالشباب فإنهم أرق أفئدة وألين قلوباً .

٤ -أم أنه يقصد بالعولمة أن نقوم بتركيب (الدش) على بيوتنا ونترك مفتاح التلفزيون مع أولادنا دون توجيه ودون تصحيح للمفاهيم لأننا نعلم أننا نعيش تحت سماء مفتوحة وأن من حق أى إنسان أن يتعرف ما يجرى فى العالم وما جد من نظريات علمية أو بحوث فنية أو دراسات اقتصادية لكن . . نحن نعلم أن لنا أعداء لم يقدروا على الوصول إلى عقولنا فهم يبثون إلينا أفلام الجنس وأفلام العصابات وأفلام تعلم أساليب السرقة وإخفاء معالم الجريمة والأب والأم وهما مشغولان فى الأعمال وتحقيق المنافع لأولادهما بينما الأولاد يعبثون مع هذه الأفلام التى تقضى على شخصيتهم وتحطم إرادتهم وتمزق أنفسهم ولا مناص أمامهم إلا الارتماء فى أحضان الجريمة . . ويعود الأب والأم بما معهما من مال وإذا بهما فقدا الأولاد وضاعت الثروة الحقيقية منهما وساعتها يندم الأب وتبكى الأم . . ولكن . . لا حياة لمن تنادى . . وهنا قول البعض هذه هى الحضارة . . أى حضارة هذه ؟ حضارة الضياع . . حضارة

التمزق النفسى حضارة الإنفصام الشخصى حضارة الاستهتار والتعفن . . لا يا قوم . . إن الحضارة أخلاق وقيم ومثل عالية وآداب اجتماعية رفيعة تتسم بالحياء والتواضع والعلم والمعرفة . . فإن خرجت عن ذلك فقد أصبحت حضارة هدم وتدمير . .

٥ -أم العولمة فى عرف هؤلاء هى . . الانسلاخ من قوميتنا . . وطمس هويتنا والتكلم بلغة غير لغتنا الأصلية . . وارتداء مالا يقره العرف والمجتمع من الثياب إن كانت العولمة هى هذه فالهدف (التغريب) أى أن نعيش غرباء فى بلادنا ليست لنا هوية محددة . . ولا شخصية قائمة بذاتها ولا لغة نعتز بها ونحافظ عليها لأن بها سجل تاريخ الأباء والأجداد وحفظ لنا آثار السابقين وأعمال العلماء الممتازين والنابغين المهرة فى كل فن وعلم . .

إننا إذا انسلخنا عن قوميتنا وأدرنا ظهورنا للغتنا فقد كتبنا شهادة وفاتنا بأيدينا ولن ترحمنا الأجيال القادمة وبالتالى فلا تاريخ لنا . . وهذا ما يريده لنا أعداؤنا . . من أجل ذلك ننادى على شبابنا ونقول لهم . . احذروا هذه الكلمات البراقة والشعارات المزيفة فأنتم أمل الأمة ودرعها الواقى والإسلام يهتم بكم ويضع لكم قواعد عظيمة فى التربية والتثقيف والتهذيب الأخلاقى ويعدكم إعداداً عظيماً لتكونوا قادرين على تحمل الصعاب واجتياز العقبات مع المحافظة على لغتكم والانتماء إلى قوميتكم لأن الإسلام لا يقتلعكم من هويتكم كما تريد العولمة أن تفعل معكم لكنه يهمس فى أذنكم ويقول لك تعلموا فن الحياة . . بإرادة قوية وعزيمة وهمة ونشاط . . على أن يكون عندكم وعى وإدراك وإرادة تتطلع إلى العلا . . ومن طلب العلا سهر الليالى . . والمطلوب منكم أن تدرسوا بوعى وإدراك هذه الكلمات التى

يصدرها الغرب إليكم . . كذلك المذاهب الهدامة مثل عبدة الشيطان فلا تجعلوا إرادتكم تخضع للدخول فى مثل هذه الأشياء . . لأن بعض الشباب ينغمسون فى هذا الشىء الوافد ويتدافعون إلى الالتحام بهذه المذاهب والتمسك بهذه الأفكار والتحمس لها بلا تفكر ولا دراسة وهذا ما نسميه الأمية) لأن المقصود بهذه الكلمة الجهل بحقيقة الأشياء والتحمس لها دون فهم ولا إدراك (فالأمية إذاً) جهل وعدم علم وتحمس لهذا الجهل . . وحاشا لشباب مصر أن يكون على هذا المستوى لأن مصر عرفت التخطيط الدقيق المنظم من أيام يوسف عليه السلام عندما خطط لنجاح مصر فى إدارة زراعتها حتى تنجو من الأزمة الاقتصادية التى شملت المنطقة العربية آنذاك كذلك عرفت مصر التخطيط الدقيق عندما قامت ببناء الأهرامات ومقابر الملوك والملكات وهو عمل هندسى رائع . . كذلك عرفت الطب بكل أنواعه ونجحت فى التحنيط بينما فشلت فيه دول العالم . . ثم جاء الإسلام الذى يتسم بالرفق والسماحة والقرآن كتاب الإسلام وبنى الأزهر الذى دافع عن القرآن وحفظ لنا تراث الإسلام ونقى سنة النبى ﷺ من الشوائب . . كما دافعت مصر بقوة جنودها وشجاعة أبنائها عن ضياع الأمة العربية وفقد هويتها نفى حروب عرفت . . الحروب الصليبية . . وحرب التتار والمغول . واستطاعت مصر مع هذه الصراعات التى ظهرت فى الأيام الأخيرة مع اسرائيل أن تحافظ على شخصيتها المعنوية وهويتها الذاتية بقدرة فائقة ونفس عالية وإرادة لا تعرف التخاذل ولا التراجع وانطلقت فى خطين متوازيين التنمية الشاملة فى الجبهة الداخلية . . وأكبر دليل على ذلك بناء المساجد والمدارس والمستشفيات . . كما وضعت وبنت الأسبلة هنا وهناك وأصبح

الوقف وسيلة خير للتكافل الاجتماعى ورعاية الأيتام . . الخط الثانى الدفاع عن الأراضى الإسلامية والعربية وكان القائد يمتلك إرادة يواجه بها عدواً شرساً لكن القائد المصرى الذى يمتلك قوة هائلة من ثقته فى جنده وهم خير أجناد الأرض كما صح من الصادق الأمين سيدنا محمد ﷺ . أن شباب مصر لابد أن يكون عندهم وعى يدركون به ان عدوهم الذى فشل فى الحروب الصليبية يحاول بكل ما أوتى أن يصدر إلينا حركات ظاهرها أنه يقصد بها رفع مستوانا بينما هى فى الحقيقة إهدار لكرامتنا وطمس لهويتنا ليستطيع بذلك أن يفرق الأمة وأن يقضى على خيرة شبابها . . إذن نريد أن يكون هناك وعى وإدراك بأن الإسلام هو دين العالم وأنه يقبل العولمة إذا كان فيها ما يتناسب مع قيمه وأخلاقه وإلا . . فإن الإسلام غنى بمبادئه عظيم بقيمه يحقق لنا الصالح العام ويؤسس مجتمعنا على الخير ولا يتصادم مع عواطفنا .

قال رسول الله ﷺ (ما أحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئاً) وتلى قول الله (وما كان ربك نسياً) رواه الحاكم . . وقال (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوا عليها وسكت عن أشياء رحمة بكم ، غير نسيان فلا تبحثوا عنها) أخرجه الدارقطنى ولقد قرر علماء الإسلام أن الأصل فى الأشياء الإباحة . . ولا تحريم إلا بنص صحيح صريح من كتاب الله أو سنة رسوله أو إجماع ثابت متيقن . . ما عدا ذلك تبقى الأشياء فى دائرة العفو علاوة على أن الإنسان إذا أخطأ فإن باب الله مفتوح وهو سبحانه وتعالى يقبل التوبة من عباده بل ينادى على عباده الذين أسرفوا فى الذنوب وعاشوا فى الرذيلة يقول لهم : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر : ٥٣-٥٩] .

هذا يا أيها الشباب هو الإسلام الذى يفتح بابه لكل تائب فالله تبارك وتعالى غفور رحيم حليم صبور مع عفوه ورحمته ينبهنا إلى حسن العلاقات

الاجتماعية مع بعضنا . . وصيانة الحقوق والحرمات ومع تنبيهه لنا بعدم الخصومة أو التشاحن فإنه دائماً يرغبنا أن نسعى بالصلح بين المتخاصمين ولا نسيء الظن فى بعضنا ولا نتجسس ولا نمشى بالنميمة ولا نرمى المحصنات الغافلات المؤمنات بالطعن فى الشرف ولا نعتدى على ذمى ولا نتعامل بالرشوة . . هكذا أقام الإسلام العلاقة بين الناس . . لذلك حرم الإسلام الاستغلال والخداع والغش ونبه التجار إلى عدم تطفيف الكيل ونقص الميزان وعدم شراء الأشياء المسروقة التى يبيعها من لا تعرف هويتهم وعدم الحلف باليمين وعدم الاحتكار وعدم التلاعب بالأسعار ونهى عن تصديق السحرة أو الجلوس معهم أو تصديق كلامهم لأنه لا يعلم الغيب إلا الله والذين يزعمون أنهم يعرفون الغيب هم كذبة وأفاكون . . وخلاصة ذلك أنه مطلوب من الشاب أن يعمل على محو أميته الدينية وأن يجلس مع العلماء يستفتيهم ولا مانع من إدارة حوار معهم . . إن كان وقتهم يسمح . . لزيادة المعلومات ومعرفة حكم الشيء الذى التبس عليهم . . وحذار يا ولدى . . أن تذهب إلى الجهلة الذين اتخذوا الدين مظهراً وهم ليسوا من أهل المعرفة ولا من أهل الخبرة . . فكل علم له رجاله . . وكل فن له علماؤه . . هل رأيت مثلاً . إنسانا عاديا يقوم بإجراء عملية جراحية دقيقة لشخص ما . . هل تنجح هذه العملية ويكون الشفاء لهذا المريض ؟ أترك لك الإجابة . . ثم . . هل رأيت إنسانًا عاديًا يكتب روشتة لمريض بالسرطان . . أو بالحساسية . . هل تعتقد وتؤمن بأن فيها شفاء ؟ أترك لك الإجابة . . إذا كانت بـ(لا) . . فإننى أقول لك . . الدين أهم من كل هذا . . وانظر إلى من تأخذ منه دينك لأن هؤلاء الأدعياء شوهوا صورة الإسلام وساعدوا المستشرقين وعاونوهم على هدم

قيم الدين لأن الجهل أخطر من الأعداء . . لأن الحكمة تقول (اللهم اكفنى شر أصحابى أما أعدائى فأنا كفيل بهم) وأصدقاؤنا هنا هم الجهلة الذين أفتوا بغير علم فأحلوا الحرام وحرموا الحلال ولا يقول أحد الإسلام يقدر البواعث الكريمة وهؤلاء قصدهم شريف ونيتهم طيبة نقول لهم لا . . لأن الإسلام يأمرنا ألا نفتى إلا بعلم ومن قال برأيه فقد هلك لأن الله تعالى يقول ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣] . وقد قال أحد العلماء (من قال لا أدرى فقد أفتى بالصواب) فلا يليق بإنسان لا يعلم شيئاً عن الدين ويفتى فيه . . ذكر الإمام الشافعى فى كتابه (الأم) عن القاضى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة (أدركت مشايخنا من أهل العلم يكرهون الفتيا . . أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام إلا ما كان فى كتاب الله عز وجل بيناً بلا تفسير) وقال أحد التابعين (إياكم أن يقول الرجل إن الله أحل هذا أو رضيه) فيقول الله له (لم أحل هذا ولم أرضه ! !) أو يقول إن الله حرم هذا فيقول الله كذبت . . لم أحرمه ولم أنه عنه) هذا هو الورع كل شخص يفتى بعلمه الذى تخصص فيه ولا يتطاول على العلماء ولا يحاول أن يأخذ لنفسه مكانة ليست له . . وأنتم عليكم أن تبحثوا عن العلماء لتتعلموا على أيديهم الحلال والحرام .

إن الطريق إلى الله واضح وسهل وميسور . . وإن كان هناك مخاطر واعوجاج وانحرافات فإن القرآن الكريم قد بين لك ذلك عندما قال الحق سبحانه ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وهذا الاعوجاج والانحراف عن الطريق المستقيم يدفعك إليه عدوك . . هذا العدو . . يضع لك من الأفكار ما يضلك بها عن سبيل الله . . وقد قال الله تعالى ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

إن عدو الإسلام يحاربنا أسلحة متنوعة تدور فى نطاق الفكر والغزو الثقافى . . من . . مسرحيات . . أفلام سينمائية . . كتب جنس . . أغانى هابطة . . موضة فى الملابس وغيرها . . المجلات التى تنشر الصور العارية والكلمات المستهجنة إلى غير ذلك كثير . . لأن العدو جرب معنا السيف فلم يفلح ورغم هذه الحرب المعلنة استطاع الإسلام بمبادئه والمسلمون الأوفياء أن ينشروا الإسلام فى أوربا وأمريكا والصين وروسيا ذلك لأن الإسلام دين سهل . . من هنا قامت حركات فكرية تعمل فيخفاء لهدم الإسلام وأسلحتهم فى ذلك:

- تشكيك المسلمين فى كثير من أمور دينهم مثل . . تعدد الزوجات . . لم أباح الإسلام ذلك ؟ . . ولم تزوج النبى بأكثر من سبع ؟ ولم حرم الإسلام لحم الخنزير والخمر ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التى يطرحونها فى المواريث والعلاقات الاجتماعية وينتهز أعداء الإسلام الفرصة فى الأماكن التى تنتشر فيها (الأمية الدينية) . . والإجابة سهلة جداً . . ثم .

٢ -فرق تسد . . وهذا مبدأ متعارف عليه . . لأن المسلمين إذا اتحدوا قويت شوكتهم وعز جانبهم لذلك فإن أعداءنا دائماً يعملون على نشر الخلافات بين المسلم وأخيه المسلم والمجتمع المسلم والمجتمع المسلم الآخر . بل يذهبون أبعد من ذلك يحدد ذلك ربنا بقوله ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاة اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨] . إنهم دائماً يشعلون حرب الخصام بين المسلمين ويعملون على إبراز المساوئ السيئة ولقد نبهنا الله إلى ذلك حيث قال ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] . والتاريخ أكبر شاهد على أن سلاح فرق تسد اتخذه أعداء الإسلام فى بداية تكوين الدولة الإسلامية ولم ينجحوا لكنهم يتمسكون به .

٣ -التظاهر بالإسلام . . أعداء الإسلام مدارسهم متنوعة . . ولهم أسلحة خطيرة جداً لحرب الإسلام والمبدأ الذى أعلنوه فى يوم من الأيام هو كما قال ربنا ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٢، ٧٣] . وهؤلاء يدخلون فى الإسلام ليطمئن إليهم المسلمون . . ثم يبدأون فى ارتكاب الفواحش وفعل الموبقات ونشر الانحراف فى مجتمع المسلمين والناس تنظر إليهم على أنهم من المسلمين . . والحقيقة أنهم من (المنافقين) والمنافق هو شخص بوجهين يتعامل مع هذا بوجه ومع هذا بوجه وقد قيل فيه :

يلقاك يحلف أنه بك صادق   فإذا توارى عنك فهو العقرب

والمنافقون أخطر فئة فى المجتمع لأن المثل يقول (اللهم اكفنى شر أصحابى

أما أعدائى فأنا كفيل بهم) وقد بين الله سبحانه وتعالى لنا أن المنافقين مذبذبين بين ذلك . . لأنهم لا يثبتون على حال واحدة . لذلك فهم أخس خلق الله قال عنهم ربنا ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء : ١٤٣] . لهذا ساق الله إليهم البشرى بالعذاب الأليم الذى ينتظرهم جزاء ما ارتكبوه من أعمال وما تسببوا من انحرافات . فهم كما قال عنهم ربنا ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً﴾ [النساء : ١٣٨ ، ١٣٩] . والمنافق يخيل إليه أنه يخدع الله وأن حيله وأعماله ينخدع بها المسلمون . . لكن الحقيقة أنه يخدع نفسه وقد خسر خسراناً مبيناً . . لأنه إذا نودى إلى الصلاة قام إليها ببطء يود ألا يصلى ويقول لك ياعم اجلس نلعب عشرة طاولة أو نشرب فنجان قهوة ويحاول دائماً ألا يصلى . . وإن صلى فهو كسول خمول لا يفهم من صلاته أى شيء ولا يتأثر بصلاته يقول الله عنهم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء : ١٤٢] لهذا فإننا نحذر الشباب من المنافقين لأن دورهم خطير جداً فى التاريخ الإسلامى وهم شر عدو أصيب به الإسلام .

٤ -السخرية بأركان الإسلام . . إن من أنواع الابتلاء الذى ابتلى به المجتمع الإسلامى الذين يسخرون من أركان الإسلام . . وقد نبهنا ربنا إلى ذلك وقال سبحانه ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران : ١٨٦] . ويقول سبحانه ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى

الصَّلاة اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة : ٥٨] .
ويقول أيضاً بأن أعداء الدين سوف يسلكون بنا السبل ويضعون أمامنا العراقيل ليحولوا بيننا وبين ممارسة أركان الدين يقول الحق سبحانه ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة : ٢١٧] .

إن الحقد والبغضاء بدت من أفواه أعداء الدين لذلك فهم يشككون فى كل شىء وأسلحتهم فى ذلك كثيرة ومتنوعة منها :

١ -القضاء على اللغة العربية ومهاجمة التراث العربى . . ومن المؤكد أن اللغة العربية هى لغة القرآن وهى أشرف اللغات لأنها اختيرت لأشرف كتاب وأكمل رسالة وهى لغة سيد الأنبياء . . ولذلك بات من المقرر فى ذهن أعداء الدين أن يطمسوا اللغة العربية إما بالقضاء عليها وإما بنشر العامية ويتأتى ذلك من كثرة الأخطاء فى النطق وعدم تصحيح الكلام والله تعالى يقول عن القرآن ﴿قُرْآناً عَرَبِياً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر : ٢٨] . ويقول ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف : ٣] . ولقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا ذل العرب ذل الإسلام) وفى حديث آخر (من أحب العرب فقد أحبنى ومن أبغض العرب فقد أبغضنى) ويقول (أحب العرب لثلاث . . لأنى عربى ، والقرآن عربى . . ولسان أهل الجنة عربى) . . وإذا فسد اللسان العربى لم نتذوق القرآن ولم نقرأه قراءة صحيحة .

٢ -إبراز الشعوبية . . وهى حركة برزت إلى الوجود فى دائرة الحضارة العربية وهى على اختلاف ما أفرزته تعمل بكل ما لديها على هدم الكيان العربى ومحو الإسلام ونكران القيم والفضائل التى جاء بها الإسلام . . لذلك احتضنها أعداء الإسلام ودونوا فى بطون الكتب مقاصدها وآثارها .

وتعرف الشعوبية بأنها نزيف القيم الدينية وتلوى عنق النصوص الدينية لتتفق مع أفكارهم واتجاهاتهم وسبب قيام الشعوبية فى المجتمع الإسلامى أن المحصلة النهائية لكل أفكارها القضاء على الأمة العربية وهدم الإسلام . . إن العرب لهم تاريخ عريق وجاء الإسلام فرفع قدرهم وجعلهم يتعايشون مع المجتمع العالمى فى مودة ورحمة . . لذلك تجمع أعداء الإسلام وقاموا بهذه الحركة ليجمعوا قارات العالم وشعوبه تحت كيان واحد لينتصروا بأفكارهم على الإسلام . . ومن خلال الشعوبية ظهرت الزندقة . . ولذلك كشف العرب دورهم . . وكشفوا عن الزندقة ومن نادوا بها . . لذلك اتجهوا إلى الغلو فى الدين وهو تجاوز حدود الدين الحنيف والتشدد فيه كما أنهم يغالون فى حب الأشخاص كما قالوا عن الإمام على أن روح الإله حلت فيه ثم اتجهوا إلى مبدأ الحلول عندما طاردهم الإمام على ثم اتجهوا إلى مبدأ تناسخ الأرواح . . وهكذا كلما أغلق العرب أمامهم باباً فتحوا بابا آخر فتارة يعلنون ولاءهم وحبهم لآل بيت رسول الله ﷺ فى نفس الوقت يمارسون أفعال الرذيلة ويتظاهرون بالظرف والفهلوة وتارة يعلنون ولاءهم للشعب الذى انحدروا منه وتارة يتظاهرون بالولاء السياسى للحاكم القوى إلى غير ذلك من الأمور التى أظهرت أن الشعوبية أبرز الحركات الهدامة وهى تستهدف فى المقام الأول الإنسان المسلم العربى) وتحط من شأن اللغة العربية ومحاولة القضاء عليها بأى وسيلة كانت . . لهذا يجب أن نتنبه . . ولعل قائل يقول . . أليس الدين الإسلامى هو دين كل الشعوب . . فلم نعيب على الشعوبيين ولا نتكلم عن الإسلام .

أقول . . الفرق كبير جداً . . لأن الإسلام يحترم جميع الأفراد فى جميع

الشعوب لا يفرق بين جنس أو لون . . والإسلام لا يحاول أبدا طمس أى هوية لأى شخص ولا يحاول طمس لغة أو محوها . . ويذكر التاريخ . . وهو أكبر شاهد على أن الإسلام والمسلمين عندما نزلوا أى بلد لم يغالوا فى أحد حتى فى النبى محمد ﷺ الذى كان دائماً يعلق (إنى عبد الله ورسوله) ويقول (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله) . . وكان المسلمون ينشرون أركان دينهم وقيم إسلامهم بالحب والتسامح والتآلف والتعاون . . ولم يحدث أن هدموا كنيسة فى بلد فتحوه . . أو معبد لليهود . . ولم يشعلوا فتنة بين شخص وشخص . . وإنما كانوا يحترمون إنسانية الإنسان . . ومن يقرأ القرآن يجد هذه الأمور واضحة . . قيم ثابتة وأخلاق فاضلة وأدب واحترام فى التعامل مع أى إنسان .

٣ -الجمعيات الخيرية الاجتماعية . . عرفت الشعوب الإسلامية العمل الاجتماعى المنظم الذى يقوم على الخدمة التطوعية . . ولقد استغل أعداء الإسلام هذه الظاهرة فى المجتمع الإسلامى فأنشأوا جمعية (الماسونية) وهى جمعية سرية يهودية وكان الغرض من تأسيسها فى أول الأمر محاربة الدين المسيحى ثم تطور غرضها إلى محاربة الأديان عموماً والعمل على إعادة مجد إسرائيل والعودة إلى أرض فلسطين . . كذلك جمعية الليونز وتستمد نشاطها من تعليمات الماسونية كذلك نادى الروتارى ويعلن شعارات اجتماعية تغرى بالانضمام إليه ويقبل فى عضويته أى شخص بصرف النظر عن عقيدته التى يتمسك بها علماً بأن الذين أسسوا الروتارى كانوا أعضاء فى المحافل الماسونية إلى غير ذلك من الأندية التى تصدر إلينا بين الحين والحين . . ونحن نقول

لهؤلاء إن الإسلام الذى نؤمن به فيه أكثر مما تزعمون لأن الإسلام ليس منغلقاً على معلومات وإنما هو دين متفتح على كل المعارف والعلوم ما دامت تقوم على حقائق وتستهدف الخير الذى يؤدى إلى سلوك الفرد الاجتماعى الصحيح . . ولأن الإسلام دين تقدم وتطور وحضارة ومبادئ شريفه تستهدف تحقيق المصلحة دون جمود فى الفكر أو تعصب أعمى لرأى . وليس فيه سلطة مقدسة لشخص لأنه ليس هناك من البشر من هو معصوم إلا من اصطفاه الله لرسالته . . لهذا كان من المأثور عن السلف (لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم) .

٤ -العلمانية . . هى اتجاه إلى رأى جماعة من الناس وقفوا من الدين موقف اللامبالاة . . وبلغة أوضح . . فصل الدين عن الدولة . . وهذا أمر يـأباه الإسلام . . ويرفضه لأن الإسلام دين ودولة مسجد ومصنع . . مصحف وسلاح . . فمحراب العبادة فى الدين الإسلامى أرض الله الواسعة ففى الحديث النبوى (جعلت لى الأرض مسجداً وتربتها طهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصلى) إن الإسلام يقف من هذه الآراء موقف الأستاذ يقيم الحجة على بطلان هذه الآراء ويعلنه (أننى لا أتشدد فى رأى لى ولكنى أنشد الحقيقة) فتعالوا ياشباب إلى كلمة الحق ولا تعيشوا غرباء فى بلادكم لأن أعداء الدين يستهويهم أن يجعلوكم غرباء الفكر لا تجدون لأنفسكم محل إقامة وينتزعكم من قوميتكم فلا تعرفون لأنفسكم هوية . . إنه يحاول تعطيل مواهبكم والحجر على تفكيركم ثم نزع العواطف الطيبة منكم وعندئذ لا فى الشرق دمتم ولا إلى الغرب ذهبتم وإنما الضياع والخسران . . وهذا مالا نرضاه لكم يا أبناء الإسلام ويا حفدة العرب الكرام . .

٥ -البطالة . . لا شك أن التقدم الصناعى وكثرة الابتكارات فى أدوات

الإنتاج أفرزت لنا آلات صناعية تقوم مقام المئات من العمال والفنيين . . كما أفرزت لنا العقل الاكترونى واختزال المعلومات وحفظها . . كل ذلك أثر فى الأيدى العاملة . . ففى مقام عمل النسيج مثلاً . . ظهرت ماكينة تعمل عمل الخمسين من العمال . . كذلك فى مجال الزراعة ظهرت الحفارات . . والكراكات . . كذلك فى مقام الوظائف الكتابية العامة ظهرت الآلات الحديثة وأصبحت الآلة تقوم مقام العشرات من الموظفين وأصبح هناك كساد فى العمل . . وظهرت البطالة بين الشباب . . بين حملة الشهادات العالية . . والدبلومات . . والأقل وبلا أى مهل . . وأصبح الحصول على عمل أمر عسير . . والمجتمع بأسره مسئول عن ذلك . . لأنه لم يؤهل الأطفال والشباب فى مراحل التعليم على الأعمال التى يحتاجها المجتمع من الأيدى العاملة . فمثلاً . . عندنا أسوان بها خامات الحديد ومتطلباته . . لكن . . يقام مصنع الحديد والصلب فى حلوان . . وبجوار المصنع جامعة حلوان . . ورغم كل هذه الأخطاء إلا أنه لم تخصص كلية لدراسة طبقات الأرض وأين يوجد الحديد ومواده الخام ؟ . . ثم تقام هناك معسكرات وينقل المصنع مع الطلبة فى هذه المناطق لتكون الدراسة متلائمة لمتطلبات البيئة . . خذ مثلاً آخر . . منطقة الصالحية أو شرق العوينات أو مديرية التحرير إلى غير ذلك مناطق استصلحت وزرعت . . بل أنتجت . . وكان الأولى أن تنقل كليات الزراعة إلى هذه المناطق ويستتبع ذلك نقل وزارة الزراعة تقسم أقسام إدارية ويكون لها تواجد فى هذه المناطق . . كذلك وزارة الإسكان والتعمير تبنى المبانى الجديدة حسب الاحتياجات فى هذه الأماكن . . لكن للأسف منطقة الصالحية بعد أن تركها من كانوا يستأجرونها مات شجرها ومحيت الخضرة من على

وجهها وأصبحت تنعى من حفر آبارها وهكذا . . ونحن نشكو البطالة . فمثلنا كمثل رجل يتسول فى الشوارع وهذا الرجل له رصيد من المال يزيد على الملايين . . هو محروم من ماله . . والناس تنظر إليه بازدراء . إن العدالة الاجتماعية تحتاج دائماً إلى عدالة التوزيع لتلافى هذه التراكمات من بطالة الشباب . . إننا ونحن نتكلم عن البطالة نقول بأن العدالة الاجتماعية تؤكد على حقوق الإنسان المدنية والحياتية ليعيش فى حياته كريماً عزيزاً . . ثم إن التنمية الشاملة لكل مرافق المجتمع هى المدخل الحقيقى لتشغيل الأيدى على كافة المستويات . . لأن البطالة أيا كانت أبعادها تمثل عقبة رئيسية أمام المجتمع . لأنه فى هذه الحالة يكثر عدد الشباب المتعطل ويؤثر ذلك فى مسار الحياة الاجتماعية لأن البطالة تؤدى إلى الفقر ويؤدى ذلك إلى تغير الأسعار وارتفاعها وانخفاض الدخل ويطالب المجتمع بتوفير الخدمات الأساسية كالتعليم والعلاج . . ومع ذلك فإن الفقراء يعجزون عن الاستفادة من هذه الأشياء لعجزهم عن تحمل الأعباء والتكاليف المصاحبة لذلك مثل أجر الانتقال أو دفع المصروفات المدرسية . . ويترتب على ذلك أيضاً عدم القدرة على الحصول على الغذاء الجيد فيكون التناسل بينهم مريضاً هزيلاً ضعيفاً وتكون المخاطر الصحية المترتبة على ذلك . . ولا شك أن هذه أمور من أخطر ما تواجه الإنسان فى هذا القرن . . لأن ذلك يؤدى إلى انهيار القيم الروحية التى عاشت عليها الإنسانية وسعدت فى تاريخها الطويل . . ذلك لأن الإنسان العاطل وهو يبحث عن العمل لا تكون للتقوى فى نفسه مجال إنه لايبحث عن أى عمل حتى ولو تخلى عن الأمانة والعفة والتحرر الجنسى . ونحن نقول للشباب . . إن الله تبارك وتعالى لم يخلق الإنسان ليهلكه جوعاً

وإنما خلق له الكون وأمر الله الإنسان أن يسيطر على هذا الكون فخيرات هذا الكون هى للبشر جميعاً . . وقضية الجوع والفقر والبطالة ناتجة عن سوء توزيع الخريطة السكانية على ظهر الأرض . . وهذه قضية قديمة ذكر القرآن لنا بعضاً منها فى قصة يوسف عليه السلام . . عندما أعاد يوسف خريطة الزراعة وتشغيل الأيدى المصرية فى الزراعة وبناء المخازن واستغلال كل الطاقات حتى تنجح مصر فى عبور الأزمة الاقتصادية وقد نجحت يومها بفضل هذا التخطيط المنظم وتكامل الأجهزة فى المجتمع مع بعضها فى إطار سياسة متناغمة متناسقة ومتلاقية على مبدأ النهوض بالمجتمع ومد يد العون إلى الإنسان . . وتلك عدالة التوزيع واقرأ سورة يوسف فى القرآن الكريم بأكملها وسوف تجد ذلك . . كذلك ما نقرؤه فى سورة الكهف من الآية ٩٣ إلى الآية ٩٧ عندما قال ذو القرنين وهو يقوم ببناء السد وقد عرض عليه الناس أن يعطوه المال نظير عمله فرفض هذا المبدأ وقال لهم (اعملوا معى بأيديكم) ثم وزع كل عامل فيما يجيد عمله وكانت الهمة والقوة فى إنجاز الأعمال فدبت الحياة فى المجتمع من خلال الجد والاجتهاد . . ولا يغيب عن بالنا أن الرسول ﷺ كان يرعى الغنم لأهل مكة على أجر معين ورعى الغنم وظيفة اجتماعية من يمارسها يكون له وضعه الاجتماعى العالى القدر الموفور الكرامة . . فإذا كنا نادى على الدولة بعدالة التوزيع ونقول ليس من المعقول أن اثنين يتخرجا من الجامعة أحدهما أبوه رئيس بنك والآخر أبوه موظف عمومى . . ابن مدير البنك يعين بمرتب يفوق الألف جنيه وابن الموظف العمومى لا يجد وظيفة كاتب فى أى وزارة حتى ولو فى مخبز . . لا شك أنه سيصاب بالإحباط ويحقد على المجتمع . . ولا ينفع فيه الوعظ ولا الإرشاد . . أما الثانى المدلل

فهو الآخر بدأ ينظر على المجتمع من عل . . ويتطلع إلى الغرب ليقلده فى كل شىء . . لأنه مستغرب فى مجتمعه . . وكلا الاثنين فقدا هوية الانتماء إلى الوطن . . من تسبب فى ذلك ؟ الخلل الموجود فى المجتمع من سوء التوزيع . وعدم تطابق القول مع العمل فى الواقع الاجتماعى . . لأننا ننادى بعدالة التوزيع . . والطهارة . . والشفافية . . وعلاج كل هذا سهل وبسيط لو صدقت النيات واجتمع مجلس الوزراء وخطط بدقة لتوزيع الخريطة السكانية من جديد ونقل الكليات على حسب الحاجة والتطلعات المستقبلية . . لكن للأسف يجتمع مجلس الوزراء لمناقشة . . هل نقدم الساعة أو نؤخرها يوم خميس ولا جمعة يوم واحد ولا ثلاثة . . وما إلى ذلك . .

إن المجتمع العربى إذا لم يتحد ويتوحد وتقام دراسة جادة من قبل الجامعة العربية لمعرفة الأماكن الاستراتيجية الصالحة للزراعة أو المؤهلة لاستخراج الخامات الإنتاجية منها وتدارك الأمر قبل أن تظهر طبقة عالية جداً من البطالة وتمثل ظاهرة يصعب التعامل معها لأن الأمر جد خطير وعلى كل مجتمع أن يراعى عدالة التوزيع فى المرتبات مع المحافظة على الطبقة الوسطى التى تمثل عامل اتزان وتوازن بين الغنى والفقير . لينسجم المجتمع فى مسيرته . ومحاسبة أولاد المسئولين الذين أصبحوا عنصر هدم فى هذا المجتمع ولعلنا نذكر قصة ابن عمرو بن العاص عندما كان يتسابق مع ولد القبطى فسبق القبطى ابن عمرو فضربه وقال (أتسبقنى وأنا ابن الأكرمين) وقدم والد الشاب القبطى شكوى إلى الحاكم العام عمر بن الخطاب الذى أحضر والى مصر (محافظ) وحقق فى الشكوى بنفسه فلما تبين صحتها أعطى عمر العصا لابن القبطى وقال له اضرب ابن الوالى ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ

بمثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ١٩٤] . ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٧٩] . بل إن عمر أعطى العصا لوالد الشاب وقال اضرب عمرو على صلعته لأنه لولا هو ما ضرب ولده ولدك . . ثم عزل عمر الحاكم العام عمرو (محافظ إقليم مصر) عن عمله لمدة شهرين وكلفه بأن يقوم برعى غنم الصدقة فى هذه المدة . . هذا هو منطق الحق الذى تستقيم به الدنيا ياشباب .

وكأنى أسمع أحدكم يقول ما لنا وهذا . . هل فى مقدورنا نحن أن نغير ؟ . نعم فأنتم غدا القادة والقيادة . . فاعرفوا هذا وعندما تؤول الأمور إليكم تخططون بدقة ونظام .

٦ -الإعلام . . إن العصر الذى نعيشه قد تحقق فيه من التغييرات الجذرية من الأحداث الكبرى سواء فى المجال العلمى أو المجال الأخلاقى أو النفسى أو المعنوى تغييرات غيرت معالم الطريق أمام الناس بل غيرت معالم الحياة الاجتماعية . . فالتقدم الهائل فى وسائل الاتصالات والمواصلات باعتبار ذلك سمة بارزة من سمات هذا العصر انعكس تأثيره على كل شىء وعلى الإنسان بصفة خاصة . . والشباب بحكم المرحلة السنية وبحكم الخصائص والسمات النفسية والذهنية هم أكثر فئات المجتمع تعرضاً لهذه التأثيرات . وأصبحت المغريات أمام الشباب كثيرة متنوعة بل إنها تتجاوز مداركهم وقدراتهم الفكرية . . ولا ننسى أن أعداء الإسلام يستهدف من وراء ذلك الشباب لأنهم أكثر الفئات قابلية للتأثر بهذه المعطيات والتصديق ثم هم يريدون بذلك إعطاء جرعة من الزاد الفكرى تقود الشباب إلى الانزلاق فى بحر المغريات المتدفق من كل جانب والتى تجاوزت كل الضوابط بدرجة

استفحل خطرها . . فأصبح الخروج على القيم الدينية والمعايير الأخلاقية أمراً سهلاً وبات مقررا لدى الكثير أن الأمر صعب جداً لا يصلح له علاج ونقول لهم لا . . ذلك لأن الشباب أرق أفئدة وألين قلوباً وهم بحكم تكوينهم نزعة الخير لا تنطفء فى قلوبهم لأنهم تربوا على العقيدة الإسلامية وهى فى نفوسهم مغروسة ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] .

إن شبابنا فى حاجة إلى ثقافة إسلامية ويوم أن يتفاعل شبابنا مع هذه الثقافة تدفعه خطواته على طريق التقدم لأن الثقافة الإسلامية تعتبر أفضل زاد معرفى عقائدى أخلاقى لأنها تصدر عن المنهج الإلهى ومن هنا تتسق مع الفطرة وترتكز على الإيمان ثم هى توفر للإنسان روح التميز فى الفكر والسلوك والأصالة التى تصون الإنسان من كل جوانبه وترتقى به فى سلم المجد والكرامة . . وإذا كان أعداء الإسلام تنوعت أفكارهم الإعلامية ما بين . . جرائد صفراء تشكك فى كل شىء . . ومجلات مسمومة الفكر . وكتب كل ما فيها رخيص مستهجن . . وسينما . . أفلامها لا تتفق مع واقعنا الاجتماعى ومسرح رواياته المقتبسة أو المكتوبة تستهدف الشخص فى عقيدته وسلوكه تلفزيون يعلمنا التعصب الأعمى والحقد البغيض كما يحدث عند مباريات الكرة بل ويعيد إلى مسامعنا ورؤية أعيننا مشاهد بيع الإنسان الذى كان حراً ودخل فى سوق العبيد عندما يعلن عن بيع نجم الكرة الفلانى بمليون جنيه للنادى الفلانى . . والإعلان وما يدور فى فلكه عن إعلان بعض المأكولات التى لا يعرفها أكثر من ٩٠٪ من المشاهدين ولا يقدر على شراء تلك الأصناف إلا ٥٪ . . لكل هذه الأسباب وغير ذلك نقول . . الإعلام .

سواء المسموع أو المشاهد أو المقروء يلعب دوراً خطير فى تكوين الشخصية بل إن تأثيره أقوى فى تغيير اتجاهات الرأى العام من أى شىء . . والدولة هى المسئولة عن حماية الشباب ومراعاة وضعهم الاجتماعى . . ولا شك أن الدولة تحرص على أبنائها لأنهم أمل الأمة لمستقبلها . . فيجب على الدولة أن تخطط بدقة لجذب الشباب إلى ما يقدم فى مجتمعنا من خلال وسائل الإعلام وإذاعة الحقائق الدقيقة عليه وإشراك الشباب فى المناقشة الإعلامية وإسهامه بالرأى فى الجوانب السياسية والاقتصادية والزراعية إلى غير ذلك مما يهم الكيان الاجتماعى إن الإعلام أخطر شىء فى حياة الأمة . . والمؤسسات الإعلامية عليها واجب . . والدولة رقيبة . . والأمر هام وخطير . . لهذا فإن على شبابنا ألا يتطفل على الإعلام الخارجى وأن يطالب إعلام بلده بإعطائه ما يفيد نفسه ويوسع مداركه ويثقف عقله ويبنى جسده مع إذاعة الأخبار الهامة والدقيقة . . وفى اعتقادى أن الدولة سوف تسعد بمطلب الشباب الذى يحب أن يشارك فى بناء وطنه على أسس سليمة وحوار بناء وقواعد معرفية . . لأننا أمة لها ماض عريق وأصل فى الحضارة رائع لم تعرف الدنيا له مثيلاً . . إن مقياس حضارة الأمم يقاس بثلاثة أمور : -

١ - الاقتصاد . . المؤسس على الضوابط المالية السليمة .

٢ - الإعلام . . الذى خطط له بدقة وتحديد الهدف الأسمى لبناء الإنسان .

٣ - التعليم . . الذى يربط الحاضر بالماضى ويسهم فى استطلاع الرأى للمستقبل .

فكأنه يرتبط بالماضى ويؤسس الحاضر ويضع اللبنات لصرح المستقبل .

على هذه الدعامات تبنى المجتمعات وأخطر شيء في هذه الأسس الإعلام .
وإذا كان (الدش) قد عرف . . (والانترنت) . . (والتلفون المرئي) .
والإعلام الذي طوى المسافات وجعل المجتمع الدولي كقرية صغيرة . . القرآن لا يحجبك عن ذلك أبدا . . ولكنه يدعوك لأن تتفاعل معه وتؤثر فيه أنت ولا تتأثر إلا بالنافع المفيد فهو يقول لك ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإنس إن اسْتَطَعْتُمْ أن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٢]. فالقرآن يدعوك إلى أن تعيش على ظهر الأرض وأن تتصل بالسماء وأن تحاول بعلمك وقدرتك وإرادتك وكل وسائلك الممكنة أن تسيطر على هذا الكون علوه وسفله فافعل . . و لن تستطيع أن تفعل إلا بسلطان . سلطان العلم . . سلطان المادة . . سلطان القوة . . أي سلطان . . وأهم شيء يصاحبك في كل ذلك الإيمان بالله والاستعانة به . . لأنه صاحب القدرة المسيطرة ولا سلطان لأحد عليه .

إن ما يتشدق به أصحاب نظرة العولمة والدعوة إلى العلمانية أو الشعوبية أو إحياء المذاهب الهدامة كعبدة النار . . والقاديانية والبهائية أو ادعاء النبوة أو ما نسميه بصراع الحضارات . . كل هذه قضايا إنسانية ليست بجديدة في الفكر الإعلامي المعاصر وإنما هي نتاج الحضارات الإنسانية . . لهذا لا أكون مبالغاً إذا قلت إنها قضايا حديثة قديمة يربط بينها جميعاً قضية أساسية جوهرية لا يجهلها إنسان إنها قضايا تستهدف الإنسان المسلم لتهز عقيدته في وجدانه ثم لتغرس فيه الانحراف وتدفعه إلى الضلال . . الأمر الذي بات مقرراً معه أن نستلهم معنى حديث رسول الله ﷺ (ستكون فتن كقطع الليل المظلم . . قيل وما المخرج منها يا رسول الله قال . . كتاب الله تبارك وتعالى . . فيه نبأ من

قبلكم . . وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو بالفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قسمه الله . . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . . هو حبل الله المتين ونوره المبين وهو الصراط المستقيم . . من قال به صدق . . ومن حكم به عدل . . ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم . .) واعلم أيها الشاب أن القرآن الكريم كتاب إعلام . . ومبلغه إعلامى من الطراز الفريد . . والمنبر فى المسجد أخطر جهاز إعلامى . . تتضاءل أمامه جميع الأجهزة والمنبر له تأثير عظيم فى نفوس الجماهير لأنه من خلال المنبر عرف الناس الحق وآمنوا به . لهذا كان الإعلام المعاصر له دور خطير كذلك لأنه ينقل إلينا من خلال السماء المفتوحة والقنوات المتعددة والأساليب المتنوعة ما يؤثر فينا . . ولذا أقول لكم مفتاح الراديو أو التلفزيون فى يدك والجريدة والمجلة والكتاب على الأرصفة . وأنت حر . . فلتكن قوتك وعزيمتك تسيطر على نفسك وتختار الأصلح والأنفع سماعاً أو مشاهدة أو قراءة . . لأن المجتمع تتنوع أغراض الناس فيه فاجعل غرضك أنت إرادة فن الحياة العظيمة الكريمة التى أمتلكها فى يدى وأفرغ قلبى لحب الله الذى أنعم على بنعم لا تعد ولا تحصى وصدق من قال "أقيموا دولة الإسلام فى أنفسكم تقم على أرضكم" وإذا كان هناك من ينادى (الإسلام هو الحل) نقول له لا ترفع شعارات جوفاء لأنه شعار حق يراد به باطل . . فقل لنا مع ذلك . . أين الطريق ؟ فليكن لنا من كل ذلك عبرة . والعاقل من ربى نفسه على الحق والخير والهدى والرشاد . .

٦ -الوقت . . لو كان الإنسان تاجراً وعنده رصيد ضخم من المال وخسر هذا الرصيد يستطيع بقوة إيمانه . . وصدق يقينه . . ومثابرته على العمل الجاد أن يعوض نفسه ما خسره . . لأن كل شىء يستطيع الإنسان إذا ضاع منه هذا

الشيء أن يستردة ويعوضه . . لكن شيئاً واحداً هو الذى لا يستطيع الإنسان أن يعوضه أو يسترده إنه الزمن . . أو الوقت . . إن كل دقيقة من عمرك محسوبة عليك بدقة وكل يوم يفوت لا يعود . . لهذا فإن الإسلام دين يعرف قيمة الوقت ويقدر خطورة الزمن ويعلق (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك) لماذا ؟ لأنه كما قيل :

دقات قلب المرء قائلة له   إن الحياة دقائق وثوان

إن العمر قصير والإنسان يعيش فى حاضره وعقله يستمد كيانه من هذا الكون وما يراه فيه وينفذ من خلال ذلك إلى رحاب الملكوت الأعلى . والإنسان عليه أن يتعظ بالزمن وينتهز كل لحظة تمر عليه ليعمل العمل الجيد الذى ينفعه فى دنياه وآخرته فعمرك رأس مالك ينقص بمرور الأيام ولا يزيد . . لهذا يقول الحسن البصرى (ما من يوم ينشق فجره إلا ومناد ينادى من قبل الحق عز وجل . . يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود منى بعمل صالح فإنى لا أعود إلى يوم القيامة) ومن رحمة الله بالناس أنه وضع لهم نظام الحياة التى تبدأ من طلوع الفجر إلى ما بعد العشاء وجعل الصلوات تتخلل هذا الوقت . . لتجدد فى الإنسان النشاط وتضبط له حركة إيقاعه فى الحياة وتجعله يعيش فى دنياه وهو يغتنم كل دقيقة . . والمعروف أن الإنسان المسلم يحاول أن يسعى على رزقه مبكراً حسبما ورد فى الحديث الذى رواه البيهقى عن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها قالت : (مر بى رسول الله ﷺ وأنا مضطجعة فحركنى برجله ثم قال يابنية قومى اشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) والمقصود بذلك أن السعى على المعاش مبكراً والعمل

مبكراً يمكن الإنسان من الكسب الطيب والرزق الحلال لأن خير العمل ما كان فى البكور . . لهذا وجب على كل مسلم أن ينظم وقته وأن يسعى دائماً مبكراً وينام مبكراً لأن الله سبحانه وتعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً . . ويقول سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ [النبأ: ٩-١١]. وإذا كان الحق سبحانه وتعالى قد جعل الليل لباساً أى نوماً وستراً للإنسان ليسترد عافيته ويستعيد نشاطه أما النهار فهو للعمل الجاد والحركة الدائمة وصدق الله العظيم ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠].

لهذا فإن على الشباب بالذات أن يدركوا ويعلموا أن ساعة نوم بالليل أفضل من نوم النهار لأن النوم بالليل يريح الأعصاب وصدق الله العظيم ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١]. ثم إن مرض القلق الذى يؤرق الإنسان فى نومه ويفسد عليه راحته ناتج عن الاضطرابات النفسية الناشئة عن الخوف أو الأفكار المتراكمة فى بؤرة اللا شعور . . فبعض الناس يذهبون إلى الأطباء ويتناولون العقاقير المهدئة وهذه العقاقير تفسد عليهم حياتهم وتزيد الاضطراب عندهم لكن الإسلام يرسم لك طريقة النوم الهادئ المستريح فيقول لك الرسول ﷺ (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل . . اللهم إنى أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا منجى ولا ملجأ إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت).

هذا هو الأسلوب الأفضل لنوم أريح وقد روى هذا الحديث فى

الصحيحين . . كما روى الطبرانى عن أبن عمر رضى الله عنهما قول رسول الله ﷺ (طهروا هذه الأجساد طهركم الله فإنه ليس عبد يبيت طاهراً إلا بات معه ملك فى شعاره ولا ينقلب ساعة من الليل إلا قال اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً) والمقصود بالطهارة طهارة القلب وطهارة الجسد من الذنوب وفعل المعاصى وطهارة النفس من الغل والحقد والحسد . . إن الإسلام وهو يحرص على الوقت وينبه على قيمته يقول لك اعلم علم اليقين أن هذا الزمن :

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشى

والإنسان الفاشل الذى يضيع وقته تجده ساخطاً يسب الزمن ويلعن الأيام ونقول له ما قاله الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

واعلم بأن لعن الزمن وسب الأيام حرام فقد روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال . . (قال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل على النهار) . . كما أن بعض الناس يفرحون بمرور الأيام هؤلاء مادروا أن جريان الزمن ومر الأيام نقص من أعمارهم . . فقد قيل :

يسر المرء ما ذهب الليالى وكان ذهابهن له ذهاباً

إن الأمر يتطلب منا أن نعرف للأيام قدرها وللزمن قدره وأن نستعد دائماً للقاء الله لأن الموت يأتى بغتة لا يحتاج إلى مرض ولا شيخوخة ففى الأمثال : (إش حال عينكم . . قالوا سليمنا مات) ولنعلم أننا محاسبون على الأيام التى عشناها فى حياتنا ففى الحديث الذى رواه الترمذى (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع . . عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه

وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن عمله ماذا عمل فيه) إن نظام الحياة الإسلامية يجعل ابتداء اليوم من الفجر ويفترض اليقظة الكاملة قبل طلوع الشمس ويكره السهر الذى يؤدى إلى ضياع صلاة الصبح كما يؤدى إلى تعب الإنسان واضطراب جسمه ولهذا كان من دعاء النبى ﷺ (اللهم بارك لأمتى فى بكورها) رواه أبو داود لهذا كن حريصاً على وقتك ولا تضيعه ولا تهمل فيه .

الخاتمـــة

إن القرآن كتاب الله الذى أنزله الله بين لنا فيه الخير كما بين لنا الشر . ولهذا كان الإيمان بالله قوة تعصم الإنسان عن فعل الشر . . لأن الحياء والإيمان قرناء . . فالذى عنده إيمان عنده حياء . . والذى عنده حيا يحافظ على أركان الإسلام ولا يضيع العبادات لأن المتدين يحرص دائماً على القيام بكل عمل فيه رضاء الله ليكون غنياً فى الدنيا والآخرة . . فلقد روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ سأل أصحابه يوماً فقال (أتدرون من المفلس ؟ قالوا . المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . . فقال النبى ﷺ المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى وقد شتم هذا . . وقذف هذا . . وأكل مال هذا . . وسفك دم هذا . . وضرب هذا . . فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار) هذا هو المفلس ثم علينا أن نعلم أن الأخلاق فى الإسلام ليست من مواد الترف التى يمكن الاستغناء عنها بل هى أصول الحياة التى يرتضيها الدين ويحترم أصحابها . . لهذا روى الطبرانى عن رسول الله ﷺ قال . . إجابة على سؤال بعض الناس عندما قالوا (من أحب عباد الله عند الله تعالى ؟ قال النبى ﷺ أحسنهم خلقاً) كما روى البيهقى أن الرسول ﷺ قال (الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد . . والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل) إن الأخلاق فى الإسلام اهتم بها كثيراً وإن صاحب الخلق السهل الحسن يبلغ فى الجنة درجة عالية . . ففى الحديث الذى رواه الطبرانى أن رسول الله ﷺ قال (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم

درجات الآخرة وأشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة . . وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة فى جهنم) ثم إن عليك أن تعلم أن النفس المختلة التى تشعر بالنقص فى تكوينها تتعالى على الناس وتتكبر عليهم والكبرياء من الخلق الذى يمقته الإسلام لأن الله قال فى الحديث القدسى (الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى نارى ولا أبالى) . . وعلام يتكبر الإنسان على أخيه الإنسان ؟ ألسنا جميعاً أولاد حواء وآدم وفى النهاية القبر مثوى الجميع ولهذا نبهنا القرآن الكريم إلى ذلك عندما قال وهو ينبهنا إلى الأخلاق الفاضلة التى وصى بها لقمان ولده ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٧-١٩] . وتعال معى نقرأ فى هذه الوصايا التى تهم الشباب بالذات وعليهم أن يجعلوها نصب أعينهم ليكتمل الإيمان فى نفوسهم والعافية والقوة فى أبدانهم والنضارة على وجوههم يقول ربنا فى سورة الإسراء ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ [الإسراء: ٢٥-٢٩] . كما قال سبحانه وتعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ

وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]. هذا هو القرآن مائدة الله فى الأرض من قال به صدق .. كتاب الكون بأسره يجد فيه كل إنسان متعة نفسه وغذاء روحه .. فهيابنا جميعاً نجلس على مائدة القرآن.

لنحقق الخير والسعادة والنجاح والرقى لأنفسنا .. لأن الجن عندما سمعت القرآن تواصوا بالإنصات ثم نجدهم يعلقون كما يقول ربنا سبحانه ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ [الجن: ١، ٢]. إن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. والقرآن سوف يعطيلك خيره إن أقبلت عليه بقلب طاهر وجسد نظيف ونفس تبحث عن الحق وتريد أن تتزود بالحق لتسعى به بين الناس لأنه من أقبل على القرآن أقبل القرآن عليه وأعطاه العلم الذى ينفعه لأن الله تعالى يقول ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

إن من أراد الدنيا فعليه بالقرآن .. ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن .. ومن أرادهما معاً فعليه بالقرآن .. وصدق الله العظيم ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ [الإسراء: ٢٠].

لهذا كان حرص الدار الثقافية أن تقدم إليكم ياشباب الأمة وياذخيرتها لغد مشرق هذا التوجيه الذى نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بالقرآن وهديه الذى من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم وصدق الله ورسوله بلغنا ذلك ونحن على ذلك من الشاهدين . . . . .

منصور الرفاعى عبيد

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١